Journal of the Arab American University مجلة الجامعة العربية الامريكية للبحوث

Volume 9 | Issue 1 Article 9

2023

Argumentation In the Message Of: The Boasts “Mufakharat” Between Malaga and Sala of Lisan El Din Bin El Khatib

Omar F. ALkafaween
dromar.karak@yahoo.com

Follow this and additional works at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/aaup

Part of the Arabic Language and Literature Commons

Recommended Citation

ALkafaween, Omar F. (2023) "Argumentation In the Message Of: The Boasts “Mufakharat” Between Malaga and Sala of Lisan El Din Bin El Khatib," *Journal of the Arab American University مجلة الجامعة العربية الامريكية للبحوث*: Vol. 9: Iss. 1, Article 9.
Available at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/aaup/vol9/iss1/9

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Journal of the Arab American University مجلة الجامعة العربية الامريكية للبحوث by an authorized editor. The journal is hosted on Digital Commons, an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aaru.edu.jo, marah@aaru.edu.jo, u.murad@aaru.edu.jo.

Argumentation In the Message Of: The Boasts “Mufakharat” Between Malaga and Sala of Lisan El Din Bin El Khatib

Cover Page Footnote

Copyright 2023, Journal of the Arab American University, All Rights Reserved.

This article is available in Journal of the Arab American University مجلة الجامعة العربية الامريكية للبحوث:
https://digitalcommons.aaru.edu.jo/aaup/vol9/iss1/9

الحِجاج في رسالة: "مفاخرات مالقة وسلا"، للسان الدين بن الخطيب

عمر الكفاوين

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والفنون، جامعة فيلادلفيا– الأردن

Dromar.karak@yahoo.com

ملخص

تناولت الدراسة الحِجاج في رسالة: "مفاخرات مالقة وسلا"، للسان الدين بن الخطيب، وعرّفت الرسالة وبواعث كتابتها، ثم رصدت مظاهر الحجاج فيها، المتمثلة بالأخبار والحقائق التي أوردها الكاتب؛ لإثبات أقواله المتعلقة بتفضيله مدينة (مالقة) على الأخرى (سلا)، ثم أبرزت الآليات البلاغية واللغوية التي استعان بها في تمثيل حججه وتأكيدها وترسيخها، ليصل إلى هدفه المتمثل بإقناع المتلقي والتأثير فيه، واعتمدت الدراسة المنهج الاستقصائي في رصد الحجاج وآلياته، ودرستها دراسة تداولية، مستعينة بأدوات الوصف والتحليل، وخلصت إلى أن ابن الخطيب استعان بالحجاج ومظاهره ووسائله؛ بغية التأثير في المتلقي وإقناعه بصحة أقواله.

الكلمات الدالة: الحِجاج، ابن الخطيب، مفاخرات مالقة وسلا.

المقدمة

الحجاج نظرية تعتمد البرهان أساسًا لها، فهي تبحث في منطلقات الخطاب وآلياته التي تمنحه قوة وتأثيرًا وإقناعًا، ما يسمح للمتلقي بتأييد الآراء والحقائق والفرضيات المتمثلة في ذلك الخطاب، أو تعزيز تأييده من خلال الأدلة الداعمة التي يقدمها الكاتب؛ لكي يجعل رأيه صالحًا أو مقبولًا، مع احتمالية رفض المتلقي ذلك الرأي أو نقضه، نتيجة عدم اقتناعه بما جاء به الكاتب من حجج؛ لأنه قد يكون مطلّعًا على واقع الأمر الذي يحاجّ الكاتب من أجله، أو أنه رأى أن الكاتب قد بالغ في حججه، وعليه فإن الشيء المراد تأكيده بالبراهين لا يستحق أن يجعله متفوقًا على غيره، أو أن هناك ما يشابهه أو يفوقه.

وسعت هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على الحجاج في رسالة: "مفاخرات مالقة وسلا"، للأديب الأندلسي" لسان الدين ابن الخطيب"، التي قصد من خلالها إظهار تفوق مدينته ومسقط رأسه (مالقة) الأندلسية، على مدينة (سلا) المغربية، وقد توسل بآليات متنوعة في حجاجه من أجل إثبات ذلك، وعليه فقد هدفت الدراسة إلى إبراز مظاهر الحجاج الإخبارية والتقريرية في الرسالة التي اعتمدت على الحقائق المتعلقة بمقومات حضارية وعمرانية وطبيعية وغيرها، تجعل (مالقة) تتفوق فيها على (سلا)، ورصد آليات الحجاج البلاغية واللغوية التي لجأ إليها الكاتب؛ لتعينه على تأكيد حججه وترسيخها، وتمنحها قوة تؤثر في نفس المتلقي وتقنعه.

وتنبع أهمية الدراسة من كونها دراسة تطبيقية إجرائية لنظرية الحجاج الحديثة على نص أدبي قديم، ما يمنح تلك النظرية فاعلية وقابلية لتطبيقها على نصوص الأدب، وعدم حصرها في الخطابات الدينية أو الفلسفية أو السياسية أو غيرها، فضلًا عن دورها في تمييز الحق من المحال، فهي تضع أمام المتلقي نصًا حجاجيًا مؤيدًا بالأدلة والبراهين، غايته استمالة المتلقي إلى رأي ما (تفوق مالقة على سلا)، ويكون الحكم له، إما بالاقتناع والتأييد، وإما العكس، وعليه فإنه يغدو مشاركًا وفاعلًا في إطلاق الأحكام على النص، ومهما كان رأيه، فإن ذلك يعني أن الحجاج قد أثّر فيه وحرّك ذهنه.

وقد اخترتُ الموضوع مدفوعًا بعوامل عدّة، أهمها أنه لم يلتفت أحد من الدارسين إلى الحجاج في الرسالة_ محور الدراسة_ ولم يدرسها وفقاً لهذه النظرية، فارتأيتُ أن أفردها بدراسة مستقلة؛ لأن عنوانها ومتنها وما انطوى عليه من موضوعات، ما هي إلا حجج، قدمها الكاتب لإثبات رأيه وإقناع المتلقي به، وسعيتُ إلى إظهار مدى تأثير تلك الحجج وطريقة عرضها عبر آليات بلاغية ولغوية حجاجية في المتلقي، وأن الحكم على مصداقيتها أو المبالغة فيها أو نقضها، متروك له.

أما الدراسات [1] حول الحجاج، فإنها كثيرة، وقد طبقت على خطابات دينية وأدبية وفلسفية وغيرها، وكانت، في جلها، تبحث في مفهوم الحجاج وأدواته، التي تساعد على تمثيل الحجج وتكييفها، لتنسجم مع مقاصد النصوص المتمثلة بالإقناع

والتأثير. أما رسالة ابن الخطيب_ محور هذه الدراسة_ فقد درسها بعضهم بالنظر إلى بعض جوانبها الموضوعية والفنية، كدراسة محمد الخزعلي: "لسان الدين بن الخطيب وأدب الرحلة"، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، المجلد 18، العدد 39، 2006، الصفحات (411_ 432). هدفت إلى دراسة مضامين أربع رسائل لابن الخطيب، هي: خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف، ومفاخرات مالقة وسلا، ومعيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار، ورحلته التي دونها في كتابه، "نفاضة الجراب في علالة الاغتراب"، ودرست أسلوبها التعبيري، وخلصت إلى أن الرسائل تضمنت موضوعات عدّة كالجغرافيا، والتاريخ، والعمارة، والصناعة والإثنوغرافيا، واتسمت بخصائص فنية كالمزج بين الشعر والنثر، وشيوع المحسنات البديعية، ولاسيما السجع، وأن بعضها اقترب في أسلوبه من أسلوب المقامات، وقد ذكرت رسالة (مفاخرات مالقة وسلا) في الصفحتين (414، 415)، وأشارت إلى مفهوم المصطلحات التي وردت فيها كالمنعة، والبقعة والشنعة، وأوردت بعض آراء النقاد حول الرسالة وتحديد جنسها الأدبي. ودراسة علاء الدين زكي: "رسالة المفاخرة بين مالقة وسلا، للسان الدين بن الخطيب"، مجلة أفكار، وزارة الثقافة، الأردن، العدد 277، 2012، الصفحات (16_ 32). هدفت إلى إلقاء الضوء على موضوعات الرسالة، وأهم سماتها الفنية، ولا سيما أثر الموروث الديني والفكري، وخلصت إلى أن أبرز الموضوعات التي تناولتها، تندرج تحت مستويين: الطبيعي والحضاري، وأن توظيف النص الديني القرآني والموروث الفكري من علم المنطق والفلسفة، مثّل أبرز آلية من آليات بنائها الفني. ودراسة محمد الإدريسي: "بلاغة الوصف من خلال رسالة مفاخرات مالقة وسلا، لابن الخطيب"، مجلة جذور، النادي الأدبي الثقافي، جدة، العدد 38، 2014، الصفحات (163_ 196). هدفت إلى إلقاء الضوء على بلاغة الوصف في الرسالة، ودوره في عملية المفاضلة بين المدينتين، وخلصت إلى أن الواصف استخدم جملة من الأوصاف والخصائص المشحونة قيميًّا، هادفًا إلى تزيين (مالقة) والحط من شأن (سلا). ودراسة أحمد عمار: "الشعور الوطني عند الأندلسيين_ لسان الدين بن الخطيب وابن سعيد المغربي نموذجين"، مجلة كليات التربية، جامعة الزاوية، ليبيا، العدد 15، 2019، الصفحات (177_ 189). هدفت إلى البحث في نزعة الشعور الوطني عند الأندلسيين تجاه وطنهم، وشدة تعلقهم به وأسباب ذلك، وخلصت إلى أن أبرز بواعث ذلك التعلق تتمثل بإعجاب الأندلسيين بطبيعة بلدهم وحضارتها وافتتانهم بها، فضلًا عن أن كثرة ترحالهم وغربتهم جعلتهم يحنون لوطنهم ويتلهفون للعودة إليه، وقد أشارت إلى الرسالة في الصفحتين (182، 183)، جاعلة منها نتيجة لشعور كاتبها وتحيزه لبلده، عبر تفضيله مدينته (مالقة) على الأخرى (سلا).

لقد نظرت هذه الدراسات في الرسالة من زوايا موضوعية وفنية، مركزة على بواعث تأليفها، وأبرز موضوعاتها المتمثلة بمظاهر الحضارة في المدينتين، وتميز إحداهما على الأخرى، فضلًا عن سمات الرسالة الفنية وبلاغتها، وقد تميزت دراستي هذه الحالية عنها، بأنها ركزت على موضوع الحجاج، ورصدت مظاهره وآلياته، ودوره في تمثيل مقاصد النص، وإقناع المتلقي والتأثير فيه، وقد أفدتُ من بعض تلك الدراسات السابقة بالقدر الذي يرفد موضوع الحجاج، مع الإقرار بأهمية تلك الدراسات.

وانتظمت الدراسة بمقدمة، وتمهيد عرّف الرسالة وبواعث تأليفها، والحجاج وأهدافه، ثم تدرجت في مبحثين: الأول تحت عنوان "الحجاج التقريري والإخباري"، الذي أبرز أهم الحجج الإخبارية التي قدمها الكاتب في مفاخراته المتعلقة بالموقع الجغرافي، والصناعات، وطبيعة المكان، والأرض، والتاريخ، والحضارة، ودرسها. أما المبحث الآخر، فجاء تحت عنوان: "آليات الحجاج البلاغية واللغوية"، رصد فيه تلك الآليات كالتشبيه والاستعارة والكناية وفنون البديع والأساليب الإنشائية والتفضيل والشرط والاقتباس، وأظهر دورها في تمثيل الحجج وتأكيدها، وانتهت الدراسة بخاتمة، تضمنت أبرز نتائجها. واعتمدت المنهج الاستقصائي في رصد مظاهر الحجاج وآلياته، ودرستها دراسة تداولية، مستعينة بأدوات الوصف والتحليل.

تمهيد

رسالة "مفاخرات مالقة وسلا" إحدى الرسائل التي كتبها لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ/ 1374م)، وتندرج تحت "رسائل المفاضلات والمفاخرات"، التي تقوم على أساس التفاخر والاحتجاج، بهدف تفضيل بلدٍ على آخر أو مدينة عمّا سواها أو غير ذلك، وقد كتب ابن الخطيب رسالته في المفاضلة بين مدينة أندلسية (مالقة)، [2] وأخرى مغربية (سلا) [3]، ساعيًا إلى جعل الأولى تفوق الثانية في مختلف النواحي الاجتماعية والاقتصادية والحضارية والجغرافية وغيرها.

والناظر في الرسالة يلحظ أن ابن الخطيب_ بالرغم من حبه بلاد المغرب ومدينة (سلا) بالذات، التي لجأ إليها في أوقات محنته_ فإن شعوره الوطني جعله يتغاضى عن هذه الاعتبارات، ويتحيز إلى المدينة الغرناطية (مالقة)، ويجعلها المفضلة على طول الخط، وقد "يرجع هذا الشعور إلى روح المنافسة التقليدية القديمة، التي كانت سائدة بين الأندلسيين والمغاربة، والتي كانت تظهر ـ أيضًا ـ بوضوح في رسالة الشقندي [4]، قبل قرن من الزمان من رسالة ابن الخطيب" (ابن الخطيب، 2003، ص19).

أما بواعث كتابة الرسالة، فيرى بعض الدارسين [5] أنها جاءت بفعل عاملين:

الأول: الاستجابة لطلب صديق له، وقد ذكر ابن الخطيب ذلك في بدايتها، مبينًا أنه كتبها تلبية لطلب أحد أصدقائه واستجابة له، ولم يسمه باسمه، بل اكتفى بذكر طلبه منه المقارنة بين (مالقة) و(سلا)، يقول: "سألتني، عرفك الله عوارف السعد

المقيم ... المفاضلة بين مدينتي مالقة وسلا" (ابن الخطيب، 2003، ص57)، وقد يكون هذا "الصديق حقيقيًّا أو متخيلًا، صنعه ابن الخطيب ليحقق بواسطته المفاخرة" (جبران، 2004، ج1/ ص518_ 519).

الثاني: باعث نفسي انفعالي، ناجم عن حياة الكاتب وظروفه النفسية المتوترة في الحقبة التي كتب فيها الرسالة، وقد أكد هذا الباعث "ابن علي السَّلَوي الدُّكالي"[6]، في رده على الرسالة بمنظومته: "إتحاف أشرف الملا ببعض أخبار الرباط وسلا" (المريني، 1994)، فقد ألمح إلى أن ابن الخطيب كان في وضع نفسي مأزوم، وهو مقيم في (سلا) التي استقر فيها بعد هجرته من الأندلس، وسبب ذلك تنكر أهلها وأعيانها له، وعدم إكرامهم له (جبران، 2004، ج1/ ص519).

لقد كانت الموضوعية في إصدار الأحكام غائبة عن الرسالة، فكان التحيز واضحًا ـ في جميع محاور المفاخرة ـ إلى (مالقة)، وكان التنكر لـ(سلا) باديًا أيضًا، ما عدا بعض الإشارات المقتضبة، وعليه فيمكن القول: إن الباعث الرئيس لكتابتها هو انتصار ابن الخطيب لبلده ومسقط رأسه على العدوة المغربية (زكي، 2012)، فغدت كأنها ردة فعل منه إزاء تنكر أهل (سلا) له، وتقصيرهم في تقديره ووفادته.

ومهما يكن، فإن الرسالة تظهر قدرة ابن الخطيب وبراعته اللغوية والبلاغية والحجاجية، التي سعى ـ من خلالها ـ إلى إثبات أفضلية مدينته (مالقة) على (سلا)، وكان أسلوب الحجاج، القائم على الدليل والبرهان، جليًا في الرسالة، هدف منه إلى التأثير في المتلقي وإقناعه. ويقصد بالحجاج "تقديم الحجج والبراهين والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، ويتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وإنجاز متواليات في الأقوال، بعضها بمنزلة الحجج اللغوية، والأخرى بمنزلة النتائج التي تُستنتج منها" (العزاوي، 2006، ص16)، والهدف منها جميعًا هو إثبات رأي ما أو إبطاله (لالاند، 2001)، من خلال تقديم الحجة والدليل عبر طريقة معينة في "الاتصال، غايتها استمالة عقول الآخرين والتأثير فيهم، وبالتالي إقناعهم بقصد معين" (ابن عيسى، 2006، ص36).

ولأن الهدف الرئيس للحجاج هو الإقناع، فإن الكاتب يسعى ـ من خلاله ـ إلى "إحداث تغيير في الموقف الفكري والعاطفي عند المتلقي" (بليت، 1999)، والتأثير في اتجاهاته ومعارفه، و"محاولة تعديلها عن طريق مخاطبته بالحجج والبراهين الإقناعية" (الصديق، 2005)، ويتوسل لذلك بآليات لغوية وبلاغية، تساعده في تأكيد حجاجه وترسيخ أدلته، إلى جانب تلك الحجج التقريرية، التي تنطوي على معارف وأخبار، يضعها الكاتب أمام المتلقي؛ لينظر فيها ويتأمل، حتى يصل إلى الاقتناع من خلال استيعابها وتأويلها وإدراك فحواها.

المبحث الأول: الحِجاج التقريري والإخباري

ويقصد به ما يقرره الكاتب ويخبر عنه من حقائق ووقائع وقيم حول ما يحاجج بشأنه، ويدرجها في نصه لتكون حججًا على ما يقوله وتأكيدًا له، استنادًا إلى الأمر الواقع ومقتضى الحال، ويكون الحجاج ذا "طابع فكري، يأخذ بعين الاعتبار المعارف المشتركة، والمطالب الإخبارية والتوجهات الظرفية" (عبد الرحمن، 2000، ص65)، وتعدّ تلك الأخبار والوقائع مرتكزات أساسية في عملية الحجاج؛ لأنها تمثل الرسالة التي يسعى الكاتب إلى إقناع المتلقي بها، عبر التأثير فيه واستمالته بواسطة الحجج التي يقدمها.

إن الوقائع التي يسردها الكاتب كحجج يضعها أمام المتلقي، تعتمد على معلومات ومعارف سابقة، تحفز المتلقي على الرجوع إليها، حتى يتأكد منها، ويصل إلى الدليل على صحتها، وعليه فإنه يكتسب تلك المعرفة إذا لم يكن يدركها من قبل، أو أنها تتعزز عنده وتنمو إن كان على معرفة سابقة بها.

لقد قدم لسان الدين عددًا من الحقائق في رسالته، جاعلًا منها براهين تثبت صحة ما يقوله، محاولًا إقناع المتلقي بتلك الأقوال المتمثلة بتفضيله (مالقة) على (سلا)، وتتمثل تلك الحجج بما يأتي:

أولًا: الموقع الجغرافي:

قصد ابن الخطيب أن موقع (مالقة) الجغرافي، منحها منعة من الناحية العسكرية، وحصنها من الأعداء، وجاء بوصف له يرتكز على الحقيقة التي لا شك فيها، يعرف موقعها الحصين كل إنسان سكنها أو زارها أو درس جغرافيتها، فلها "فضل الارتفاع ومزية الامتناع، أما قصبتها، فاقتعدت الجبل كرسيًّا، ورفعها الله مكانًا عليًّا، بعد أن ضوعفت أسوارها وأقوارها[7]، وسما بسنام الجبل المبارك منارها ...، وحصنت أبوابها، ودار ببلدها السور والجسور، والخندق المحفور" (ابن الخطيب، 2003، ص58)، إن هذه الحقائق كافية بأن تجعل من المدينة منيعة ومحصنة بفضل جغرافيتها، فهي تقع على جبل عالٍ، ما يجعلها صعبة وعرة على الأعداء، وهذه حجة وحقيقة ربانية حباها الله تلك المدينة، أما الحقائق الأخرى، فهي من صنع البشر، وتتمثل بالأسوار والسياجات والجسور والخنادق التي تحيط بالمدينة، وتحميها من كل متربص بها.

لقد أورد الكاتب تلك الحقائق؛ لتكون بمنزلة حجج تؤكد أقواله ومفاخرته بالمدينة، وهي حجج لا مجال للشك فيها، لذا فإنها تقنع المتلقي؛ لأنها تدل على إثبات القول المتعلق "بموضوعات متفق عليها، ما يؤدي إلى موافقته عليها" (صولة، د.ت)، ويقينه بها. ويمكن القول: إن هذا الحجاج مرهون بـ(التبليغ)، بمعنى أنه حجة تبليغية لشيء من الواقع، من خلال "نقل

فائدة القول الطبيعي نقلًا ظاهرًا" (عبد الرحمن،1998)، يؤدي إلى الإفهام المرتبط بحقائق وأحداث راسخة في العقل البشري ومعارفه المبنية على "تراكمات علمية مرهونة بالتصورات والمسلمات" (الولي، 2005).

وتقابل هذه الحقائق الحججية المتعلقة بمالقة ومنعتها، حقائق أخرى ترتبط بـ(سلا) وجغرافيتها، ساقها الكاتب ليثبت تفوق (مالقة) عليها، فهي (سلا) "سور حقير ... وقصبتها بالبلد متصلة، ومن دعوى الحصانة منتصلة، سورها مفرد ... وبابها مقصد لا ساتر يحميه" (ابن الخطيب، 2003، ص59)، إنه يلجأ إلى المقارنة بين المدينتين، من حيث موقع كل منهما ومنعتهما، فيأتي بأوصاف لـ(سلا) تؤدي بالنتيجة إلى تفوق (مالقة) عليها، فـ(سلا) لا شيء يحصنها، ولا يحيط بها سوى سور مفرد، لا يمنحها المنعة أمام الأعداء، بل إن أبوابها متاحة للجميع ومشرعة، فلا ساتر يحميها.

إن هذه الحقائق التي أوردها عن (سلا) تمثل حجاجًا، وظيفته الدحض والنقض، وهو دحض مضمر، يمكن للمتلقي تأويله، يسعى ـ من خلاله ـ إلى نقض أقوال كل مَنْ يدافع عن (سلا) ومنعتها، أو يفضلها على (مالقة)، فإن تلك الأوصاف تؤكد ضعفها، وأنه لا وجه لمقارنتها مع (مالقة)؛ لأنها أوصاف مرهونة بالواقع الذي يضعف منطق المدافعين عنها، ثم إنها تؤدي "وظيفة سجالية" (زكري، 2005، ص140) هدفها السخرية من الذين يرفضون منطقه، ويرون أن (سلا) قد تفوق (مالقة)، كأنه يرى أنهم خصومه، فيسعى إلى وضعهم في مأزق أمام ما يقوله من حقائق، ويؤكده بالواقع المعروف عن المدينتين.

ثانيًا: الصناعات:

وقد أشار ابن الخطيب إليها بكلمة (الصنعة)، وقصد بها "ما تشتهر به المدينتان من صناعات مختلفة، وما يتوافر فيهما من المهرة في الصنائع" (الخزعلي، 2006، ص414)، وأورد من الأوصاف لها ما يجعل (مالقة) متفوقة على (سلا)، وكانت أقواله بمنزلة حجج لتأكيد ذلك التفوق، فمالقة "طراز الديباج المذهب، ومعدن صنائع الجلد المنتخب، ومذهب الفخار المجلوب منها إلى الأقطار" (ابن الخطيب، 2003، ص59)، أما (سلا)، فلا يوجد فيها "صناعة يُقصد إليها أو يعول عليها أو يطرف بها قطر بعيد، أو يتجمل بها في عيد" (ابن الخطيب، 2003، ص59)، وبصرف النظر عن مبالغة الكاتب في هذا؛ لأن كل مدينة و(سلا) منها فيها صناعات وصناع، إلا أنه يسعى إلى تحقيق مفاضلته ومفاخرته عبر المقارنة بين المدينتين، من حيث الصناعة، فيرى أن (مالقة) اشتهرت بصناعة الجلود والفخار الفاخر وغيره من الصناعات، وفي المقابل ينفي عن (سلا) أي وجود لتلك الصناعات، وقد يكون فيها بعضها، لكنها ليست بجودة صناعات (مالقة)، ودليل ذلك قوله: إنه (لا يعول عليها)، بمعنى أنها ليست متقنة.

لقد لجأ الكاتب إلى تعداد ما تشتهر به (مالقة) من صناعات، وذكر أبرزها وأكثرها إتقانًا واستعمالًا في ذلك الزمن كالحرير المطرز المذهب، والملبوسات والفرش المصنوعة من أفخر الجلود، ما يوحي بدقة الصناعة وجودتها، أما الفخار المستخدم في صناعة الأواني وغيرها، فإنه يُؤتى به من أقطار تشتهر به، ويكون على جودة عالية، ثم نفى ذلك كله عن (سلا)، من خلال المقارنة بين منتوجات كلتا المدينتين وصنائعهما، ليقطع شك المتلقي، ويقنعه بما يقول.

إن هذه المقارنة المرتكزة على وصف الصناعات في المدينتين وتفضيلها في (مالقة)، تمثل وقائع حجاجية، هدفها إقناع المتلقي بأفضلية إحداهما على الأخرى، من خلال ما احتوته الجمل الوصفية من أخبار "منحت القول اتجاهًا حجاجيًّا، يستميل المتلقي إلى وجهة دون الأخرى" (العزاوي، 2006)، والمقصود استمالته إلى (مالقة) وإقناعه بجودة صناعاتها ومهارة صناعها، والابتعاد به عن (سلا) وصناعاتها التي لا تتسم بالجودة والإتقان، ولعل هذا ما أشار إليه (ديكرو) من أن "فعل الحجاج يقوم على تقديم المتكلم قولًا أو أقوالًا، يوجهها إلى المتلقي ليقبلها، وتكون إما تصريحًا أو تلميحًا، ويمثل قبولها نتيجة للحجة" (المبخوت، د.ت).

ثالثًا: طبيعة المكان:

وقد حددها ابن الخطيب بكلمة (البقعة)، وقصد بها البيئة الطبيعية للمكان، من حيث جماله ونباته وماؤه، وكعادته في المفاخرة بين المدينتين وتفضيله (مالقة) عقد مقارنة بينهما، فمالقة "جمعت بين رمث[8] الرمال وخصب الجبال، وقَامِرة[9] الفلاحة المخصوصة بالاعتدال، والبحر العديم الصداع[10]، الميسرة مراسيه للحط والإقلاع، والصيد العميم الانتفاع، جبالها لوز وتين، وسهلها قصور وبساتين ... ومزارعها المغلّة عند اشتداد السنين ... ووواديها الكبير عذب فرات ... بين بحر ورياض" (ابن الخطيب، 2003، 60)، أما (سلا)، فإنها "بلد الرمال، بطيحة[11] لا تنجب السنابل ... وبحرها مكفوف بالعتب والمدارج، ووواديها ملح المذاق ... عدمت الفاكهة والمتنزهات النابهة" (ابن الخطيب، 2003، ص60).

لقد قامت حججه على ثلاثة مظاهر طبيعية:

1- الخصب والزراعة: تفوقت (مالقة) في خصبها وفلاحة أهلها وتنوع ثمارها وفاكهتها كاللوز والتين، أما (سلا)، فأرضها رمال لا تصلح للزراعة، وتنعدم فيها الفاكهة والثمار.

2- الماء: (مالقة) فيها بحر كبير ونهر، ماؤه عذب فرات، و(سلا) بحرها شحيح، وماء نهرها مالح.

3- طبيعة الأرض: (مالقة) فيها سهول خصبة وبساتين ورياض، و(سلا) أرضها كلها رمال، وهي بطيحة، كلها حصى لا تنبت فيها الأشجار.

وتأسيسًا على ما سبق، فإن الكاتب اتبع أسلوب التفنيد في حججه، عبر مجموعة من الجمل الوصفية المتتابعة المتضمنة أدلة تؤكد تفضيله (مالقة) على (سلا)، وسعى ـ من خلالها ـ إلى إظهار الحقيقة أو تثبيت رأيه وتبيانه، وإقناع المتلقي به، وقد يكون المتلقي غير مقتنع بما أورده، إلا أن الرسالة التي يقدمها الكاتب ترتكز على التأثير والإقناع، محاولًا ـ من خلالها ـ اتباع السبل كلها المؤدية إليه، أما المتلقي، فيرى ما هو مناسب، استنادًا إلى معرفته المدينتين وطبيعتيهما.

إن شاعرية الوصف لجماليات الطبيعة وبلاغته وسيلة من وسائل الحجاج والإقناع، تساعد على استمالة المتلقي والتأثير فيه وتقوية الحجة في ذهنه، عبر جذبه عن طريق اللغة ومنطوقاتها التعبيرية، وما تشتمل عليه من جماليات، فضلًا عن إسهامها في توضيح المراد، من خلال تفنيده ووصفه القائم على تحديد مفاصله وتميزه، ففي (مالقة) بحر واسع، فائدته أنه مرسى وميناء للذهاب والإياب (مراسيه للحط والإقلاع)، وكلمتا (الحط، والإقلاع) تمثلان وصفًا لأهمية المرسى، وهما منطوقان لغويان يؤكدان دوره في عمليات التجارة والتوافد إلى (مالقة) من مختلف الأصقاع، ثم إن بحرها فيه صيد عميم، وهذه إشارة أخرى تؤكد أهميته ـ أيضًا ـ وفائدته لأهل البلاد الذين يصطادون منه، ويعتاشون من هذا الصيد، وفي الوقت نفسه ينفي تلك الأهمية عن (سلا) وبحرها ونهرها، فنهرها (ملح المذاق)، ما يعني أنه لا فائدة من مائه، وأنه لا صيد فيه؛ لأن ماءه مالح لا تعيش فيه الأسماك، وعليه فإن الحجة تكون قوية بالنسبة لـ(مالقة) وتفوقها على (سلا)؛ لما تحويه من مظاهر طبيعية تعكس جمالها، وتشكل مصدر رزق لأهلها، وهذا ما لا يتوافر في (سلا).

رابعًا: تاريخ المكان:

لقد أورد ابن الخطيب كلمة (الشُّنعة) في أثناء مفاخرته، ولعله قصد بها "سمعة المكان وشهرته وتاريخه" (الخزعلي، 2006، ص414)، وفصّل إلى حد ما في فضائل مدينة (مالقة)، من خلال مقارنتها بـ(سلا) التي تفتقد تلك الفضائل، وقد بدا حديثه كالحجج الدالة على تفوق (مالقة)، ويمكن تفنيد ذلك عبر الجدول الآتي:

جدول 1: محاور المفاضلة

محور المفاضلة	ميزات (مالقة)، حجج إثبات	انعدام الفضائل عن (سلا)
تعاقب الدول والحضارات (تاريخ المدينة)	تعاقب على حكمها الروم، ثم حكمها المسلمون، ثم الأدارسة [12]، ثم الصناهجة [13]، ثم بنو نصر [14]، وكانت ذات ملك عظيم وهيبة كبيرة (ابن الخطيب، 2003)	حكمها ملوك غير مذكورين في التاريخ، ولم يدم حكمهم طويلًا (ابن الخطيب، 2003)
قوة الجيش	جيوشها قوية مقدامة معروفة على مر الأزمان (ابن الخطيب، 2003)	جيشها غير معدود، ولا قوة له ولا نفوذ (ابن الخطيب، 2003)
شهرة المكان	حصونها معروفة، وثغورها محمية، وحماها مصون (ابن الخطيب، 2003)	حصونها هزيلة، ولا حماية لها (ابن الخطيب، 2003)

السلطان	حكامها معروفون، وهم أصحاب ملك باذخ، وسلطانهم شامخ (ابن الخطيب، 2003)	ملوكها غير مستقرين، يتركونها ولا يطول حكمهم لها (ابن الخطيب، 2003)

يقوم الحجاج في حديث الكاتب على الإثبات والإخبار، من خلال تلك المقارنة بين المدينتين، عبر أحكام متعلقة بالوصف والتقرير، فيقيم حججه على أساس نقل تلك الأخبار والحقائق المرتبطة بتاريخ (مالقة) وشهرتها وقوة جيشها وملوكها بأسلوب تقريري، يهدف إلى المدح والتعظيم والثناء، وفي المقابل يأتي بأخبار عن (سلا)، تنفي عنها الشهرة وعظمة المكان، متوسلًا الذم والسخرية، وأنها لا يمكن لها أن تطاول (مالقة) ولا تجاريها.

لقد اتبع ابن الخطيب أسلوب الوصف التفصيلي وتحديد جزيئات الموصوف في أثناء حديثه عن (مالقة)، ساعيًا إلى إقناع المتلقي بأفضليتها، وقاصدًا الفخر بها، والحط من شأن مقابلتها (سلا)، فنجده يفصّل في أسماء الدول التي تعاقبت على حكمها، فيذكر الروم والمسلمين والأدارسة والصناهجة وبني نصر، ويشيد بأدوارها في الحضارة والتاريخ، ثم يفصّل الحديث حول منعة المدينة وحصونها وقوة جيوشها وصلابة خيلها، ليجعل من هذا التفنيد حججًا مبنية على "واقع ثابت متكون من حقائق قائمة سلفًا" (الولي، 2005)، ومعلومة لدى كل عارف بالمدينة، ومطلّع على أحوالها وتاريخها.

أما (سلا)، فإنه يوجز في الحديث عنها، ولا يطيل الكلام حول حضارتها وأمكنتها وملوكها، إنما يعبر عن ذلك بومضة وصفية سريعة، تقوم على نفي كل ما وصف به (مالقة) عنها، وأنها تفتقر كثيرًا إلى مقومات الحضارة والسمعة المكانية، قاصدًا من ذلك استمالة المتلقي نحو (مالقة) وإقناعه بفضائلها، والنأي به عن (سلا) وعدم إطالته الوقوف عندها، وهذا ما حققه حجاجه القائم على توسيع الحديث حول (مالقة) وإيجازه حول (سلا).

خامسًا: المظاهر الحضارية:

لقد توسع ابن الخطيب في حديثه عن مظاهر الحضارة، وصنفها إلى أقسام عدّة:

1- العمارة: وقصد بها مظاهر العمران كبناء القصور، والدور، والمساجد، والفنادق، والحصون، والأسوار وغيرها، وأشار إلى اهتمام (مالقة) وأهلها بذلك، وعنايتهم بإتقان العمارة وفنونها وزينتها ومنعتها، فـ"سورها متراكم متراكب، وفنادقها كثيرة، ومساجدها أثيرة ... وقصورها بيض، فيها جنات دانية القطوف، سامية السقوف" (ابن الخطيب، 2003، ص61_ 62)، وفي المقابل قلة تلك الحضرة العمرانية في (سلا)، فهي "بلد منخرق منقطع منفرق، ثلثه مقبرة خالية، وثلثه خرب بالية" (ابن الخطيب، 2003، ص62)، و"إن كان بها للملك دور وقصور، ولأهل الخدمة بناء مشهور، فنهل قليل، وليس بالجمهور إليه سبيل" (ابن الخطيب، 2003، ص93)، وعليه فإنه سعى إلى إظهار تميز عمارة (مالقة) بالريادة والفرادة،

وأنها مترعة بالحياة والحركة، وفي المقابل فإن (سلا) لا عمارة فيها ولا حياة، بل إنها تتسم بسمات موحشة، ولا يأتيها إلا نفر قليل من الناس، وهذه المبالغة تهدف إلى جعل المخاطب يثق في كلامه، وينحاز معه إلى (مالقة).

2- الإمارة: وقصد هيبة الدولة، وخصّ بها (مالقة)، فهي "القدح المعلَّى [15]، والتاج المحلَّى، وعلى كل حال بالفضل الأولى" (ابن الخطيب، 2003، ص62)، أما (سلا)، فإنها لا هيبة لها؛ لأنها تعتمد على غيرها اقتصاديًّا (ابن الخطيب، 2003).

3- النضارة: وقصد بها جمال الطبيعة وخصوبة الأرض، وجعل (مالقة) ذات غروس وأعناب وأزهار وأشجار، وكلها رياض وبساتين وأنهار (ابن الخطيب، 2003)، و(سلا) جرداء، وماؤها حميم، ونباتها هشيم (ابن الخطيب، 2003)، وهو يؤكد مرة أخرى أن (مالقة) نابضة بالحياة والحضارة، ومبعث للبهجة والسرور الناتجين عن طبيعتها الخلابة، وما تبعثه في النفوس من راحة وسكينة، وفي المقابل يؤكد أن (سلا) مكان موحش لا أنس فيه ولا راحة؛ لأنها خالية من مظاهر الطبيعة وظلالها الوارفة، ما يجعل النفوس تنصرف عنها وتنفر.

4- الثقافة: وتعني ثقافة أهل المدينتين وعلمهم وتنوع معارفهم، وقد أشار إلى تفوق (مالقة) في ذلك، فأهلها أصحاب علوم دينية ومجادلات ومناظرات، ومنهم مؤرخون وأدباء وأصحاب فقه ودين (ابن الخطيب، 2003)، و(سلا) ليس فيها من أهل العلم سوى بعض العبّاد والزهاد (ابن الخطيب، 2003).

إن هذا التصنيف لمظاهر الحضارة يتسلسل عبر حجج تهدف إلى تفضيل (مالقة) على (سلا) تفضيلًا كليًّا، يرى ابن الخطيب أنه كان موضوعيًّا فيه وغير متحيز، فيقول: "وهذه حجج لا تدفع، ودلائل إنكارها لا ينفع" (ابن الخطيب، 2003، ص65)، ولا يمكن لـ(سلا) أن تتفوق على (مالقة)، في الوقت الذي يمكن الاعتراف بفضلها (سلا) إذا ما قورنت بنظيراتها من بلاد المغرب، فـ"لا ينكر فضل اعتدالها، وأمنها من الفتن وأهوالها عند زلزالها" (ابن الخطيب، 2003، ص65).

ولكي يجعل حججه قوية، فقد لجأ إلى الاستدلال على ما ذهب إليه من فضل (مالقة)، ورفع شأنها من خلال الاستشهاد بالمصادر التاريخية التي يحيل إليها، وأنها أشارت إلى المدينة وعلمائها وفضلائها، فمن ينكر عليه أقواله، فليرجع إلى تلك المصادر مثل: مغرب البيان[16]، وتاريخ ابن حيان[17]، وتاريخ الزمان[18]، وكتاب ابن الفرضي[19] وابن بشكوال[20]، وصلة ابن الزبير[21]، وصلة ابن الأبار[22]، وتاريخ ابن عسكر[23]، والإحاطة[24]، فالناظر فيها يجد براهين دامغة على أقواله، ففيها من ذكر رجال مالقة وأعلامها وفضلائها وأخبارها ما يميط اللثام عنها (ابن الخطيب، 2003)، ومقابل ذلك فإن (سلا) لا ذكر لها في مصادر التاريخ وسير البلدان والرجال، فهي "مهملة الذكر والإشادة" (ابن الخطيب، 2003، ص64).

ويمكن القول: إن ابن الخطيب كان متعصبًا لمدينته (مالقة) وغير عادل في مفاخرته، ومال إلى طرف دون الآخر، نتيجة هواه وتعلقه بمسقط رأسه، ثم إن تلك الحجج التي أوردها في المفاضلة التي سعى ـ من خلالها ـ إلى إقناع المتلقي بآرائه القائمة على الحقائق_ على حد قوله_ لا تجبر ذلك المتلقي على عدّها من المسلمات؛ لأن "الحجج ليست مطلقة، إنما قابلة للرفض أو القبول أو التغيير" (العشراوي، 2019)، وقد لا تحتكم إلى قواعد وضوابط منطقية تقيدها، ونتائجها ليست ملزمة أو قطعية (علوي، 2010، ج1).

إن تمظهرات المفاخرة وتفصيلاتها ما هي إلا أدلة، حاول ابن الخطيب بسطها أمام المتلقي؛ لكي يشاركه الرأي في تفضيله مدينته على الأخرى، إلا أن قدرة ذلك المتلقي على التأويل والفهم، هي ما تجعله "يستحضر تلك الحجج والأدلة إثباتًا أو إنكارًا" (عبدالرحمن، 2000)، من خلال تفكيكها وتفسيرها، وله الحرية في قبولها أو الاعتراض عليها، ولعل هذا ما يميز حجاج ابن الخطيب_ وإن كان على غير قصد منه_ لأنه يمنح المتلقي قابلية في القبول والرفض، اعتمادًا على فهمه ومعارفه حول المدينتين وميزات كل منهما.

ويتميز حجاجه بأنه ينبه المتلقي إلى الظروف والأسباب التي جعلت الكاتب يأتي به، فهو متعلق ببلده الأصلي (مالقة)، وتفاخره مرتبط بشعوره الوطني وتعلق الإنسان بموطنه وحبه له، وهو حب مشروع، لكنه لا يلزم المتلقي بالاقتناع به، وإنما يستطيع النظر في جملة أقواله الإخبارية، ويترك له الحكم عليه بالصدق أو المبالغة، وعليه فإن هذا الأمر يحقق وظيفة تتعلق بفاعلية الخبر أو الحجة، فله دور في إحداث أثر في ذهن المتلقي الذي يتحرك لمعرفة صحته، ويبحث عنه ليدرك مدى مصداقية تلك الحجج والأخبار، ثم يحكم بعد ذلك، ويتخذ موقفًا، فإما أن يؤيد رأي الكاتب أو يرفضه، أو ينصف (سلا) دون أن يحط من شأن (مالقة)؛ لما لها من فضائل لا يمكن إنكارها.

وتأسيسًا على ما سبق، فإن الحجاج في رسالة ابن الخطيب تحقق عبر أفعال كلامية وأقوال إخبارية، ارتكزت على ثلاثة: "فعل القول أو الكلام" (أوستين، 1991، ص117)، المتعلق بما تحدث به الكاتب وتلفظ، محاولًا إقناع المتلقي بما جاء به من أوصاف ودلائل وشواهد. و"الفعل الإنجازي" (أوستين، 1991، ص119)، المرتبط بما قدمته أقوال ابن الخطيب من معارف متنوعة، وحقائق تتعلق بفضائل (مالقة) وحضارتها وجغرافيتها وغير ذلك، وإن كان متحاملًا على (سلا) ولم يعطها ما تستحق من وصف موجوداتها وفضائلها. و"الفعل التأثيري" (أوستين، 1991، ص125)، المتعلق بما تحقق نتيجة أقوال ابن الخطيب، وتأثيرها في المتلقي الذي يسعى ـ بدوره ـ إلى البحث عن الحقيقة والوصول إلى نتائج تقنعه.

المبحث الثاني: آليات الحِجاج البلاغية واللغوية

وهي تلك الوسائل التي يستعين بها الكاتب ويوظفها في سبيل إقناع المتلقي واستمالته، وتعدّ الأساليب البلاغية من أبرزها؛ لما لها من دور في التحول في بنية النص "لمقاصد حجاجية ولإفادة أبعاد تداولية" (الحباشة، 2008، ص50)، وتهدف إلى التأثير في المتلقي؛ بغية إذعانه لمضامين الرسالة الموجهة له (صولة، د.ت)، ولأن البلاغة هي البيان، فإن هذا يؤكد حجاجيتها؛ لكون "البيان يؤدي وظيفتين: المعرفة والإقناع" (العمري، 1999)، فارتباطه بالإقناع يقود إلى الحجاج الهادف إلى إقناع المتلقي.

أما اللغة، فهي أساس الحجاج ومنبعه، فآلياتها تساعد على "إنتاج متواليات من الأقوال، بعضها هو بمنزلة الحجج، وبعضها الآخر بمنزلة النتائج" (صالحي، 2015)، وتتمثل تلك الآليات بمجموعة من المفردات والتراكيب والأدوات والأساليب اللغوية التي تساعد على تمثيل الحجج، وتوصيل رسالتها، والتأثير في المتلقي وإثارة مشاعره، وهذه هي غاية اللغة، فنحن "نتكلم عامة بقصد التأثير" (العزاوي، 2006، ص14)، وهذا التأثير "يثير كل مرة في المخاطب سلوكًا مناسبًا" (بنفنيست، 1999)، وعليه فإن الوظيفة الحجاجية تتحقق من خلال ذلك التأثير الناتج عن اللغة ومكوناتها التركيبية، وتمثيلاتها الموضوعية والجمالية.

أولًا: آليات الحِجاج البلاغية:

تعددت أغراض البلاغة ومقاصدها، وكان من بينها "أن يكون القصد من الكلام هو إقامة الحجة" (العسكري، 1952، ج1)، وقد جعل أبو هلال العسكري الإقناع أعلى رتب البلاغة (العسكري، 1952، ج1)، وهذا الإقناع مرهون بأمرين، إما الموافقة عليه وإثباته، وإما نفيه ومخالفته (السكاكي، 1987)، ولا يكون ذلك إلا بالدليل والحجة التي تساعد فنون البلاغة في تمثيلها وتأكيدها وترسيخها في ذهن المتلقي، وعند النظر في رسالة ابن الخطيب نجد أن أبرز آليات الحجاج البلاغية فيها تمثلت بما يأتي:

1- التشبيه: يعدّ التشبيه وسيلة من وسائل الحجاج البلاغي؛ لكونه يسهم في جذب المتلقي نحو النص ويؤثر فيه ويمتعه، فهو "يقوم على ركنين: المشبه والمشبه به، تجمع بينهما علاقة ما، فائدته التأثير في السامع قبولًا أو رفضًا، ويسهل للذهن عملية حفظ المعلومات، ما يجعلنا نكتفي بالقليل لاسترجاع الكثير، وهذا ما يفيد حجاجيًا، ويساعد في خلق فضاء واسع للخيال، ما يسمح بتوسيع أفق المعلومات التي تضمنتها الصورة التشبيهية" (العشراوي، 2016)، ويُلزم التشبيه المخاطب

بتقويم العناصر المشتركة بين طرفيه وتقديرها، بحيث يسقط جزءًا على جزء آخر، وهذه الطريقة تعدّ برهنة وحجة أكثر من مجرد مشابهة عادية (العشراوي، 2016).

ولجأ ابن الخطيب إلى التشبيه في مفاضلته (مالقة) على (سلا)، ليقدم أدلة قوية على أقواله، وتكون مؤدية وصالحة للنتيجة التي يتوخاها، ويريد إقناع المتلقي بها، فقلعة "قلهراته"[25] في (مالقة) "كأنها لبست الصباح سربالًا" (ابن الخطيب، 2003، ص58)، فهي كفتاة حسناء ذات أنفة وعزة، ترتدي ثوبًا مصنوعًا من الصباح وإشعاعه، وفي جعله الصباح مشبهًا به، فإنه يدفع بمخيلة المتلقي إلى الانفتاح على عالم النص والتفكر في تلك القلعة الشامخة، فيتأثر بتلك الصورة التشبيهية، ويقتنع بكلام الكاتب حول القلعة وجمال بنائها ومنعتها، بوصفها متعلقة بمظهر طبيعي (الصباح) الذي لا مجال للشك في قوته الناتجة عن انتشاره في جميع الآفاق، وسعة مساحته التي تشمل كل البقاع، فضلًا عن بهائه وجماله المتعلقين بإشعاعه ونوره الذي لا يغلبه نور، وعليه فإن هذه العبارة القائمة على التشبيه تمثل حجة تستميل المتلقي وتوجه تفكيره وسلوكه نحو الرسالة التي يتبناها الكاتب، ويؤمن بها، وقد تحقق ذلك عبر طاقات لغوية مثلت التشبيه من خلال الخيال، وما يثيره في النفس من انفعالات تقود إلى التأمل في الصورة وطرفيها وأنسنتها، لكي تأخذ صفات مادية ومعنوية، توحي بالجمال والمنعة، ولا سيما أن المشبه به (الصباح) مرتبط بتجليات الكون التي لا جدال فيها.

ويقابل تلك الحجة القائمة على إثبات منعة (مالقة) وجمال بنائها بصورة تنفي هذه الصفات عن (سلا)، فهي "سور حقير" (ابن الخطيب، 2003، ص59)، جاعلًا المشبه مدينة (سلا) والمشبه به (السور)، لكنه سور حقير، بمعنى أنه ضعيف عاجز عن حمايتها، والنتيجة أنها لا منعة لها كتلك التي في (مالقة)، وإتيانه بالمشبه به (سور) وصفته (حقير) يؤكد حجته بتفضيل (مالقة) عليها، محاولًا إقناع المتلقي بذلك، من خلال توجيهه نحو الصورة التي رسمها، وجعله يتأملها لكي يقتنع بما قاله الكاتب، ولا سيما أن المشبه به (سور حقير) يدل على ضعف المدينة، ويوحي للقارئ بهشاشة ذلك السور، إلا أنه ربما لا يحقق غايته بالإقناع، إذا ما تعمق المتلقي وتفكر في ماهية (سلا)، أو بحث عنها ودرس وأدرك أن صورة الكاتب فيها مبالغة، أو قد يكون المتلقي عارفًا بها ومطلّعًا على أحوالها، فإن كانت كما قال الكاتب اقتنع، وإن كانت غير ذلك نفى قوله ونقضه.

ويمعن ابن الخطيب في نفيه كل فضيلة عن (سلا)، ويجعلها "عاطلة من حلي تلك السادة" (ابن الخطيب، 2003، ص64)، وذلك في معرض حديثه عن عدم ذكرها في كتب العلماء (السادة)، ويصورها بامرأة عاطل (خالية) من الحلي والزينة، جاعلًا الذكر في الكتب حلية تتزين بها المدن، وهذه حجة يقدمها للمتلقي، هدفها نفي الشهرة عن (سلا)، متوسلًا

بالمشبه به (المرأة الخالية من الزينة)؛ لأنها إذا ما قورنت بالأخرى التي تتزين، فإن هذه المزينة تفوقها حسنًا وجمالًا، وتظهر قوة التشبيه الحجاجية والبلاغية في هذه الصورة؛ لكونها تقوم على التماس شبه للشيء من غير جنسه وشكله، فقد أتى بمشبه به (المرأة العاطل) ليس من جنس المشبه (سلا) ولا شكلها، لكنه ربط بينهما من خلال علاقة التشبيه والأنسنة، وهذا يؤثر في نفس المتلقي، ويرسخ في ذهنه صورة المدينة التي جعلها حجة تنفي عنها الشهرة والحضارة.

لقد اقترنت تشبيهات ابن الخطيب بغايات إبلاغية وحجاجية، هدفت إلى توضيح منزلة المشبه أو بيانها، وهو مدينة (مالقة) التي تقابلها (سلا)، جعلها مشبهًا في بعض صوره، ورمى إلى عكس ما قصده في (مالقة)، فكان هدفه الحط من منزلة المشبه (سلا) والسخرية منه، وربط حجاجه التشبيهي في تلك الصور بمقصديته المتعلقة بالمفاخرة بمدينته (مالقة)، وتفضيلها على الأخرى.

2-الاستعارة: وتعدّ آلية بلاغية حجاجية "لها دور فاعل في إنتاج الخطاب وتأويله، وتشكيل صورته، وبذلك تكون تقنية خطابية تؤدي وظيفة حجاجية إقناعية" (صولة، 2010، ج1)، وتملك قوة تأثيرية دلالية تحرك المتلقي، وتنحو به منحى التأويل؛ ليتعرف إلى مقصديتها وغايتها الحجاجية، وقد وظف ابن الخطيب هذه الآلية في مفاخرته، مستعيرًا بعض الكلمات، وجاعلًا إياها مشبهًا به، حاذفًا المشبه الذي يسهل تقديره، وهو إما (مالقة أو سلا)، محققًا استعارات تصريحية تهدف إلى إقناع المتلقي بفكرته المتعلقة بإقامة الحجة على تفوق (مالقة) والإنقاص من شأن (سلا)، ويمكن تصنيف بعض تلك الاستعارات على النحو الآتي:

أ- المشبه (مالقة) محذوف، المشبه به "صنعاء صنائع الثياب"، و"ميدان ارتكاض" (ابن الخطيب، 2003، ص56، ص60)، ارتكزت الاستعارتان على التصريح بالمشبه به، فمالقة كمدينة صنعاء المعروفة بمنسوجاتها، والهدف من الاستعارة الحجاجية إثبات تفوقها، من حيث الصناعة والنسيج، ثم هي (ميدان ارتكاض)، وهذا مشبه به، مشبهه محذوف (مالقة) التي جعلها كميدان سباق للخيل، ليقيم حجته من خلال ذلك المشبه به الدال على شهرة خيلها وقوتها وأصالتها وكثرتها وشجاعة فرسانها.

ب- المشبه (سلا) محذوف، المشبه بها "آطام خاملة" (ابن الخطيب، 2003، ص59)، بمعنى "بيوت من الحجارة" (اللسان، أطم)، مهجورة خالية، لا فائدة منها ولا حياة فيها، وفي استعارة أخرى جاء المشبه (ماء سلا) محذوفًا، والمشبه به مصرحًا به "الأجاج الزعاق" (ابن الخطيب، 2003، ص60)، بمعنى "الماء الحار كثير الملح طعمه مر" (اللسان، أجج، زعق)، وقد جاءت الاستعارتان لتؤكدا فكرة الكاتب حول (سلا) ومبانيها وعدم سكناها وصفات

مائها، عبر حجتين بلاغيتين تتمثلان بوصف بيوت المدينة بأنها لا حياة فيها، وماؤها لا فائدة منه، وعليه فإنها مدينة معطلة؛ لأن مقومات الحياة لا تتوافر فيها.

إن الاستعارة "تثير انتباه المتلقي، وتطلب منه الموافقة على التفصيلات من التشابهات والتغايرات التي يعتمد عليها عالمنا" (أبو العدوس، 2007، ص189)، انسجامًا مع مقاييس الكاتب ومعاييره ورؤاه، ثم إنها حققت الحجاج من خلال دورها الفاعل في تغيير مواقف المتلقي الفكرية والشعورية على مستوى تفكيره العقلي، وليس على المستوى الجمالي فحسب، فالاسم المستعار له من القوة والتأثير ما يجعل المتلقي يقتنع بالحجج، فصنعاء معروفة بجودة المنسوجات والثياب الجميلة المتقنة؛ لذا فإن المتلقي لا يمكن له أن ينكر ذلك لكونه من المعارف التي لا جدال فيها، وإن ربط الكاتب (مالقة) بها ما هو إلا حجة تأكيدية تقوم على أساس حكم أو أمر مُسلّم به متعلق بصنعاء، وبهذا لا يكون أمامه إلا الاقتناع.

وإن استعارته (ميدان ارتكاض) وما يوحي من فروسية وكثرة خيل، يمثل حجاجًا مرتهنًا بأمر يحبه العربي (الفروسية)، ولأن له مكانة ـ أيضًا ـ في ثقافته الدينية والحضارية، وفي المقابل تأتي استعارة (آطام خاملة) و(أجاج زعاق) وربطهما بـ(سلا) ليشكلا حجة يحاول الكاتب ـ من خلالها ـ إقناع المتلقي، فيقرّ بوجود البيوت الحجرية والماء في المدينة، لكنه ينفي أهميتهما للحياة، فالماء مالح وغير صالح للشرب ولا الزراعة، ما يؤدي ـ بالنتيجة ـ إلى هجر سكان المدينة لها؛ لأنها تفتقد أهم مقومات الحياة (الماء)، إن هذا الإقرار بوجود البيوت والماء يمثل وسيلة إقناعية، يسعى الكاتب بواسطتها إلى أن يكون موضوعيًّا، من خلال عدم إنكاره لذلك الوجود، لكي يقنع المتلقي، لكنه وجود لا جدوى منه.

والملحوظ أن الكاتب أتى باستعارات قوية ومؤثرة إلى حد بعيد، ما يساعد على تقوية حججه وتأكيدها، ويتوافق مع دور الاستعارة الفاعل في "التوافق مع ما يقتضيه السياق، فتكون أقرب من الحقيقة لتحريك عواطف المتلقي ودفعه إلى الاقتناع" (الشهري، 2004)، واكتشاف الصورة الاستعارية الحجاجية المتمثلة بحقيقة المدينتين، وتفوق إحداهما على الأخرى في مزايا عدّة، كالصناعة والخيل والماء وغيره.

3- الكناية: يرى ابن الأثير أن "الكناية في أصل الوضع أن تتكلم بشيء وتريد غيره" (ابن الأثير، د.ت، ج3/ ص52)، وعليه فإنها تنأى بالتعبير عن معناه الحقيقي إلى المجازي أو التلميحي، وهدف هذا الانزياح الدلالي هو إفهام المتلقي بغية إقناعه، وبه تغدو الكناية بمنزلة حجة أو دليل يؤكد ما يرمي إليه الكاتب، وهو دليل يحتاج من المتلقي "إعمال الفكر والتروي من أجل التثبت منه" (العشراوي، 2016، ص307)، وإدراك مقصده، والحكم على مدى صدقه وحجيته، والوصول إلى معناه العميق ليتأكد في نفسه ويقبله أو ربما يرفضه.

لقد وظف ابن الخطيب الكناية في تفضيله (مالقة) على (سلا)، من خلال وصفه ميزات كلتا المدينتين، عبر كنايات حجاجية سعى بها إلى إثبات كلامه لا بالتصريح، بل بالمجاز والتلميح، فمزية الإثبات في الكناية "لا تكون للتصريح، بل إن العاقل يدرك أن إثبات الصفة بثبات دليلها وإيجابها بما هو شاهد في وجودها" (الجرجاني، 1984، ص72)، والكناية عن المعنى تزيد في إثباته، وتجعله أبلغ وآكد وأشد (الجرجاني، 1984، ص71). وقد حاول ابن الخطيب إثبات معانيه وأقواله من أجل إقناع المتلقي من خلال الكناية وخطابها التلميحي الحجاجي، وفيما يأتي بعض من كناياته:

أ- كنايات (مالقة): "لا تجد العين بها عورة تتقى" (ابن الخطيب، 2003، ص58)، "مثوى المصاعب والقروم" (ابن الخطيب، 2003، ص60)، "شجرة الفروع الكثيرة والغصون" (ابن الخطيب، 2003، ص61). إن المعنى الخفي لهذه الكنايات يعدّ دليلًا حجاجيًّا؛ لكونها تؤدي بالمتلقي إلى تحريك ذهنه، محاولًا كشف ذلك المعنى المتمثل في تلك العبارات القائمة على الإيجاز والتصوير، ليصل إلى صفات المدينة ويقتنع بتفوقها، إذ إن العبارات الكنائية تحمل معاني تؤكد ذلك، فهي (مالقة) كاملة خالية من العيوب، ثم إنها مكان محصن يسكنه الأشاوس والفرسان، وفي الوقت نفسه هي مكان خصيب كثير الأشجار والثمار.

إن البنية اللغوية لعبارات الكناية تكون أكثر قيمة وفاعلية في تمثيل المعنى وتأثيره في المتلقي؛ لأن المعنى الظاهر قد لا يلفته ولا يساعد في إعمال فكره وعقله، فهو معروف ولا حاجة إلى الوقوف عنده طويلًا، في حين أن التلميح في الكناية يجعله يبحث عن ذلك المعنى المضمر، من خلال التأويل والبحث، ما يسهم في تأكيده، ثم إن إيصال المعنى الكنائي بأسلوب جمالي يكون أكثر بلاغة وإقناعًا وتبليغًا للرسالة المقصودة.

ب- كنايات سلا: "بطيحة لا تنجب السنابل" (ابن الخطيب، 2003، ص60)، "نفقات تحصرها من التقتير خطة" (ابن الخطيب، 2003، ص61)، "بلد منخرق منقطع منفرق" (ابن الخطيب، 2003، ص62). فقد أضمر معاني وصفات، يستطيع المتلقي إدراكها من خلال التعمق في العبارات واستبطانها، ليصل إلى صفات تلك المدينة، فهي ذات أرض مليئة بالحصى، ولا فائدة منها للزراعة، وهي بخيلة، وقصد أهلها ووصفهم بالتقتير، ثم إن أرضها وعرة غير مستوية (منخرق)، مقطعة بين الجبال والأودية، كأنها معزولة عن الناس، مفارقة لمقومات الحياة.

تقوم هذه الكنايات على إقامة حجتين، سعى الكاتب ـ من خلالهما ـ إلى الحط من شأن المدينة، والإعلاء من شأن سابقتها، وهاتان الحجتان تتعلقان بأمرين مهمين للحياة:

الأول: حجة مكانية، فالمكان غير صالح للحياة؛ لأن أرضه وعرة وكلها حصى، لا تصلح للزراعة أو الرعي أو غيرهما.

الثاني: حجة تتعلق بالإنسان، فهو إنسان بخيل، لا يكرم السائل أو الزائر.

ولعل الحجتين اللتين لم يصرح بهما الكاتب مباشرة، وإنما ضمنهما تلميحًا في السياقات، قصد بهما استمالة المتلقي نحو فكرته، وإقناعه بسوء أحوال المدينة (سلا) والنفور منها، هادفًا ـ في المقابل ـ إلى لفته إلى مدينته المفضلة (مالقة) التي تحوي كل ما هو محفز على الحياة.

لقد حاول الكاتب من خلال تراكيبه الكنائية أن يضع أمام المتلقي حججًا تبلغه بمضمون رسالته بقالب جمالي كنائي، يلفت الانتباه إلى حسن مدينة (مالقة) وصفاتها وبهائها ومقومات الحياة فيها، ونفي ذلك كله عن (سلا)، ما قد يؤدي بالمتلقي إلى تقبل ذلك وميله إلى مدينة دون الأخرى.

4-فنون البديع: تعدّ فنون البديع من الأساليب البلاغية التي قد "تؤدي وظيفة إقناعية استدلالية حجاجية؛ لأنها تملك خاصية التحول لأداء أغراض تواصلية وحجاجية" (الحباشة، 2008)، ويكون المحسن البديعي ـ كذلك ـ إذا أدى دوره في تغيير زاوية النظر لدى المخاطب (الحباشة، 2008)، إلى جانب دوره الإيقاعي السلس الذي يجذب المتلقي، ويقرب المسافة بينه وبين النص وكاتبه، وعليه فإنه يميل نحو النص ويحاول استيعاب مرامي البديع، وما يشتمل عليه من حجج ومعانٍ، تؤكد رسالة النص وآراء كاتبه.

لقد توسل ابن الخطيب ببعض المحسنات البديعية لتعينه على تصوير أفكاره وإقامة حججه، وتمنح نصه جمالًا تصويريًّا وإيقاعيًّا، ومن تلك المحسنات الجناس، فقد أكثر الكاتب من استخدام الجناس الناقص؛ لكي يوفر لنصه ألفاظًا متعددة الدلالات، ولا يقيده بالتشابه اللفظي المتمثل بالجناس التام الذي قد لا يعطيه مساحة كافية من التعبير نتيجة تقييده بألفاظ محددة، ونجده يخاطب المرسَل إليه، وقد بدأ بالمفاخرة قائلًا: "رضيت بحكمي قاضيًا، وبفصلي الخطة سيفًا ماضيًا" (ابن الخطيب، 2003، ص57)، فختم الجملتين المسجوعتين بفاصلتين (قاضيًا، ماضيًا) بينهما جناس ناقص باختلاف الحرف الأول، وهما كلمتان توحيان بالقوة والثبات، فكلمة (قاضيًا) تتعلق بالقضاء والعدل، وتكون الحجة التي يقدمها بواسطتها أقوى من غيرها؛ لأنها مرتبطة بالقاضي وإنصافه، وقد جعل الكاتب نفسه قاضيًا، يحكم بين المدينتين من حيث الأفضلية، وهو يعتقد أنه كان منصفًا، إلا أن الحكم على ذلك متروك للمتلقي، ثم إن كلمة (ماضيًا) وموصوفها (سيفًا) تدل على حدته ورهافته، وقد أسبغ الكاتب هذه الصفة على نفسه أيضًا، ودلل بها على مضاء حكمه في الفصل بين المدينتين، من حيث إبراز فضائلهما وتمييز إحداهما على الأخرى، بناء على الحقائق والصفات.

وعندما يضفي صفة المنعة على (مالقة) يعلل ذلك بأنها شامخة على جبل، وقد "قربت أبراجها، وصوعدت أدراجها" (ابن الخطيب، 2003، ص58)، فيأتي بجناس ناقص بين كلمتي (أبراجها، وأدراجها) ليقيم الحجة على وصف المدينة بالمنعة، ويأتي بشواهد على ذلك، فأبراجها كثيرة ومحصنة، وفيها أدراج تصعد بالإنسان إلى أعاليها، ما يوحي بدقة بنائها وجودته، وفي حديثه عن رياضها وجناتها التي ملأت السهل والجبل، بحيث "الأسد يمنع من الأصحار بالعشي والأسحار، ولا لص يستجن بسببه في الديار" (ابن الخطيب، 2003)، فجانس جناسًا ناقصًا بين (الأصحار، والأسحار)، وهما كلمتان تتعلقان بالمكان والزمان، فالأصحار تعني الفلاة الواسعة، والأسحار وقت السحر قبيل الفجر، وقد أقام حجته على أسلوب ذكر الشيء ثم تفصيله، فذكر أن (مالقة) جنات، ثم بدأ بتفصيل تلك الجنات بأنها "ملأت السهل والجبل، وتجاوزت الأمل" (ابن الخطيب، 2003، ص62)، ليصل إلى المجانسة الناقصة التي قوت حجته، من خلال الرمز، فرمز بالأسد إلى قوة رجال المدينة ودفاعهم عنها في جميع الأوقات، فلا يستطيع أي عادٍ أو لص أن يدهمها أو يحاول سلب شيء منها.

أما (سلا)، فإنها مستباحة، إذ "استباحها الروم في اليوم الشامس، ولم ترد يد لامس" (ابن الخطيب، 2003، ص59)، وجاءت اللفظتان (الشامس، لامس) متجانستين جناسًا ناقصًا، وأكدتا المعنى المقصود المتمثل بضعف (سلا) وعدم منعتها، فقد استطاع الروم السيطرة عليها نهارًا وفي يوم مشمس، بمعنى أنهم لم يلجؤوا إلى التستر والتخفي والحيلة من أجل ذلك، إنما استطاعوا بيسر أن يقتحموها؛ لأنه لا يوجد من يدافع عنها، وقد أكد ذلك الطرف الآخر من الجناس (لامس) المتعلق باليد التي ترمز إلى الإنسان المدافع، وهو غير موجود.

ويصف أرضها التي هي على النقيض من أرض (مالقة) التي جعلها سهلًا وأرض زراعة، بينما (سلا) فإنها "بلد الرمال، ومراعي الجمال" (ابن الخطيب، 2003، ص60)، متوسلًا الجناس الناقص بين (الرمال، الجمال)، ليؤكد حجته ومعناه المتعلق بانعدام الزراعة في المدينة، فأرضها رمال غير صالحة لذلك، ولا ترعاها إلا الجمال، بمعنى أنه لا يتوافر فيها من المواشي سوى تلك الجمال التي تعتاش على القليل في صحرائها الرملية.

لقد أسهم الجناس الناقص في إحداث إيقاع موسيقي يجذب انتباه المتلقي، ويستميله بطريقة خفية إلى وجهة ما (الغرايبة، والعمري، 2019)؛ فما هو إلا "تفنن في طرق ترديد الأصوات في الكلام حتى يكون له نغم" (أنيس، 1952)، يؤثر في النفس ويحدث فيها لذة ونشوة نتيجة ذلك الترداد الصوتي لألفاظه المتماثلة تماثلًا ناقصًا، وما ينتج عنها من دلالات متعددة، وقيم فنية تساعد في تحقيق الانسجام بين النص ومعناه؛ لكونه "يترك المخاطب متحركًا ضمن فضاء صوتي، تتعالق ملفوظاته بما يجري المخاطب أو السامع نحو الشبكة الدلالية للخطاب" (المصري، 2014).

ويأتي السجع في الرسالة كوسيلة حجاجية، من خلال "لفته انتباه المتلقي إلى الكلام المنسجم المسترسل، ما يجعله يمعن النظر فيه، ويعمل الفكر فيما يمنحه الخطاب من ثيمات صوتية إيقاعية قادرة على شد المتلقي، وإقناعه بمضامين الخطاب بعد التأثير فيه" (الغرايبة، والعمري، 2019)، والسجع يقوي الحجة ويؤكدها؛ لأنه يقوم على ألفاظ تتشابه في أواخرها، لكنها لا تتشابه في جميع حروفها، وتساعد في تكثيف المعاني وتركيزها من خلال دلالاتها المتعددة.

لجأ ابن الخطيب إلى السجع في كثير من سياقات رسالته، إلا أنه لم يكن مطولًا أو متكلفًا، ولا يتجاوز في حده جملتين أو ثلاث أو أربع، ومن ذلك ما قاله حول شهرة (مالقة) وفروسية أهلها وتجارتهم، إذ "تركض فيها الخيول السابحة، وتعامل الله على الصفقة الرابحة" (ابن الخطيب، 2003، ص61)، حيث جاء السجع بين جملتين متعاقبتين بفاصلتين متشابهتين وزنًا وقافية (السابحة، الرابحة)، ما أكسبهما جرسًا موسيقيًّا سلسًا، وأكد دلالات ما سبقهما، فجاءت (السابحة) صفة للخيل وهي مستحبة فيها، وتعني "سرعتها في العدو، تمدّ أيديها كأنها تسبح" (اللسان، سبح)، ما يؤكد قوتها وشدتها، وبالتالي قوة فرسانها وإقدامهم، أما الفاصلة المقابلة (الرابحة)، فإنها جاءت وصفًا للصفقة، بمعنى التجارة، وتوحي بأن أهل (مالقة) تجار بارعون، وهم في تجارتهم يراعون ذمة الله وشريعته.

ويأتي السجع في سياق حديثه عن حضارة (مالقة) وجمال بيئتها، ففيها "الجنات الوارفة الظلال، والبرك الناطفة بالعذب الزلال، والملابس المختالة في أفنان الجمال" (ابن الخطيب، 2003، ص61)، فقد جاءت العبارات الثلاث مسجوعة بفواصل متشابهة وزنًا وقافية (الظلال، الزلال، الجمال)، إلى جانب أن الحرف الأخير (حرف السجعة) جاء مسبوقًا بالمد (الألف)، ما يحقق نغمًا ناتجًا عن طول نطقها، ويساعد في ترسيخ دلالاتها بفعل ذلك النطق الذي يطول سماعه ويثبت معناه، وقد جاءت جميعها صفات لمظاهر بيئية وحضارية، فبساتينها كثيفة الأشجار، ظلالها وارفة وخضرتها نضرة، وماء بركها عذب صافٍ سائغ للشراب، وتميزت ـ أيضًا ـ بصناعة الملابس التي تشبه الحسناوات وقد اختلن بجمالهن وبهائهن.

أما (سلا)، فإن حضارتها لا تضاهي حضارة (مالقة)، ولا يوجد فيها ما يميزها، بل إن "مساجدها فقيرة، وقيسارية حقيرة" (ابن الخطيب، 2003، ص61)، فقد أتى بشواهد دالة على انحطاط حضارتها (المساجد، الأسواق)، وتوسل للتعبير عن ذلك وتأكيد حجته بالسجع بين فاصلتي (فقيرة، حقيرة)، وهو سجع وجناس ناقص في الوقت نفسه، وقد جاءت الكلمتان صفتين لمظهرين حضاريين، هما المساجد التي لا يؤمها الناس، وطرازها المعماري هزيل، وقيسارية، وتعني "أسواق البيع والتجارة،" (اللسان، قسر)، وهي حقيرة، بضاعتها كاسدة وغير جيدة، ولا يرتادها إلا القليل.

أما أرضها، فهي "مرعى القطار، وبادية بكل اعتبار" (ابن الخطيب، 2003، ص65)، وجاءت لفظتا السجع (القطار، اعتبار) لتدللا على طبيعة المدينة وأرضها، فترتبط كلمة (القطار) بقلة نزول المطر، فهو كالقطر ليس بكثير، أو ربما أنه قصد أن مراعيها تفتقد العشب، وما فيها إلا نبات "القطران المر" (اللسان، قطر) الذي ترعاه الإبل، وأرضها بادية صحراء، وقد أكد ذلك بلفظة السجعة (اعتبار) الدالة على أن كل من ينظر فيها ويتفكر، يدرك أنها بادية لا حياة فيها.

إن السجع وما حققه من إيقاعات تشد المتلقي وتؤثر فيه، حمل طاقات حجاجية تدفعه إلى التفكير، ما قد يساعد على توجيهه نحو قصد الكاتب واقتناعه به، وربما العكس؛ لأن السجع "يشتمل على عناصر صوتية وبلاغية ذات تعابير وصيغ متجانسة، تكسبه قيمة حجاجية لا تتعلق بحصيلة المعلومات التي يقدمها فحسب، وإنما يكون محتواها الإخباري موجهًا حجاجيًّا للقول، ومن ثم توجيه المتلقي في هذا الاتجاه أو ذاك" (الطلبة، 2008)، وعليه تكون وظيفته الحجاجية من خلال تمثيله المعاني وترسيخ دلالاتها في النفوس.

5-الأساليب الإنشائية: تعدّ الأساليب الإنشائية من الآليات التي يوظفها الكاتب شواهد وحججاً على ما يورده من آراء وطروحات، وهي في الوقت نفسه تحفيزية؛ لأنها تنبه المتلقي إلى أن شيئًا ما سيقال، أو أنه يحتاج إجابة أو تنفيذ أمر ما، ولعلها أكثر حجاجًا من غيرها؛ لأنها لا تحتمل الصدق أو الكذب بذاتها، لعدم تحقق مدلولها في الخارج، وإنما الكلام بعدها هو الذي يحتمل ذلك الصدق أو الكذب.

والناظر في الرسالة يدرك أن الكاتب وظف أسلوبين إنشائيين طلبيين: الأمر والاستفهام، أما الأمر، فيعدّ "أسلوبًا توجيهيًّا قائمًا على مطلب الإذعان إلى تحقيق مضمون الرسالة والفعل المطلوب من خلاله، حيث يتبادر للذهن عند سماعه إلى القيام به والتوقف عمّا سواه، ويحكم ذلك منزلة المحاجّ الآمر" (الطلبة، 2008)، وله قوة حجاجية وفاعلية تأثيرية في توجيه المعنى المقصود للمتلقي واستمالة ذهنه، وقد لجأ ابن الخطيب إلى صيغتين من صيغ الأمر هما:

أ- فعل الأمر: فقد جاء بصيغته في موضعين خاطب بهما المتلقي أو المنكر لأفضال (مالقة) بأن ينظر في كتب التاريخ والحضارة ومصادرهما ليتأكد من صحة كلامه، يقول: "فاستشهد مغرب البيان ..." (ابن الخطيب، 2003، ص63)، و"بادر بالإماطة عن وجه الإحاطة" (ابن الخطيب، 2003، ص64)، فقد جاء فعلا الأمر (استشهد، بادر) موجهين إلى المتلقي بأن ينظر ويبحث في المصادر كالبيان المغرب والإحاطة في أخبار غرناطة، ليرى ما أوردته عن (مالقة) وحضارتها ورجالها، ويتأكد من صدق كلام الكاتب، وجاء الأمر من هذا الكاتب المعروف (لسان الدين) المشهود له بالعلم والمعرفة؛ لذا فإنه أمر من صاحب منزلة علمية وثقافة واسعة، فتكون العلاقة بين (المرسِل/ الكاتب) والمرسَل

إليه (المتلقي) قائمة على حجة؛ لأنها صادرة من إنسان له منزلة بين العلماء، وهو موضع ثقة وله من المؤلفات الكثير، وعليه فإن حجته الأمرية مؤثرة، تستدرج المتلقي لتنفيذها والبحث عن فحواها، وبالتالي إثباتها.

ب- صيغة (لام الأمر والفعل المضارع): وقد جاء بها الكاتب في موضعين أيضًا، خاطب بهما المتلقين من خلال صيغة واحدة (لنرجع)، وجعلها بداية لحديثه عن مظهرين من مظاهر تفوق (مالقة) على (سلا)، ومقارنته بينهما، فعندما أنهى كلامه حول المنعة، وقد أسقطها عن (سلا) وأثبتها لـ(مالقة) قال: "فلنرجع إلى قسم الصنعة" (ابن الخطيب، 2003، ص59)، وبعد أن أنهى حديثه حول الصنعة، وقد نفاها عن (سلا) قال: "فلنرجع إلى مزية البقعة" (ابن الخطيب، 2003، ص59)، وتدفع هذه الصيغة المتلقي إلى تنفيذ أمر الكاتب؛ لأنه يرغب في معرفة منعة المدينتين وصنعتهما وأسباب تفضيل إحداهما على الأخرى، فتغدو صيغة حجاجية ذات تأثير قوي، يثير فضول المتلقي لاكتشاف نتيجة المفاضلة ومظاهرها، والوصول إلى ردة فعل تجاهها، إما بالقبول أو الرفض، وبذلك تتحقق وظيفة الصيغة الأمرية الحجاجية، من خلال تحقيقها "أغراضًا خطابية ووظائف تواصلية، يحكمها مبدأ الغرض أو القصد الذي يبتغيه المتكلم من الخطاب" (العشراوي، 2016).

أما أسلوب الاستفهام، فإن خروجه عن معناه الحقيقي يعدّ مجازًا وانزياحًا دلاليًّا، هدفه الحجاج الذي يستند عليه المتكلم بغية التأثير في المتلقي، وهو "من أنجع أنواع الأفعال اللغوية حجاجًا؛ لأن طرحه يمكن أن يضخم الاختلاف حول موضوع ما، إذا كان المخاطب لا يشاطر المتكلم الإقرار بجواب ما، كما يمكن أن يلطف السؤال ما بين الطرفين من اختلاف، إذا كان المخاطب يميل إلى الإقرار بجواب ما غير جواب المتكلم" (الجرجاني، 1984)، وقد استهل ابن الخطيب رسالته بعد الدعاء للمدينتين باستفهام إنكاري، ينفي عملية التفضيل من أساسها؛ لأن التفضيل يقع بين الأقران والمتشابهين بشيء ما، أما (مالقة وسلا)، فلا جامع بينهما، وشتان بين (مالقة) العظيمة و(سلا) الهزيلة، يقول: "إن التفضيل إنما يقع بين ما تشابه وتقارب، وإلا فمتى يقع التفضيل؟" (ابن الخطيب، 2003، ص57).

إن سياق الاستفهام (متى يقع التفضيل؟) يدل على أن التفضيل بعيد المنال عن (سلا)؛ لأن العبارات التي سبقته توحي بأنه لا تشابه ولا تقارب بين المدينتين، من حيث الحضارة والطبيعة ومظاهر العمران وغيرها، ولكن الكاتب لجأ إليه لكي يثبت ذلك بالحجة، ففصل في فضائل (مالقة) ونفاها عن (سلا)، لكي يؤكد أن لا وجه للمفاضلة بينهما، وبدا كأنه يوقع التفضيل لطرف واحد دون سواه، وعادة يكون بين اثنين، كأنه يقول إنه خالف أسلوبه هنا، ولم يعد قائمًا على طرفين، إنما على طرف واحد، أما الآخر، فلا وجه للمفاضلة فيه، ولم أجد ما أقوله عنه.

وليؤكد ذلك طرح استفهامات أخرى، مثلت انتقاص (سلا) في مظاهر المفاضلة، ومن ذلك: "وأي صناعة في سلا يقصد إليها؟" (ابن الخطيب، 2003، ص59)، و"وأين سلا من هذه المزية؟" (ابن الخطيب، 2003، ص61) يقصد شهرتها، وهما استفهامان إنكاريان تعجبيان، قرر بواسطتهما انعدام الصناعة وجودتها عن المدينة، وكذلك عدم تميز مكانها وشهرته، كأنه يطرح السؤال ليحصل المتلقي على الإجابة منه، فيتضمن السؤالان ما يوحي بها، وكان قصده من ذلك تقديم دليل للمتلقي على تفوق (مالقة) على (سلا) التي تفتقد لما سأله عنه، وتوحي عبارتا الاستفهامين بعنصري الإثبات والنفي، إثبات الإجابة وجعلها لمالقة، ونفيها عن سلا.

إن الأسلوب الحجاجي التوجيهي المتعلق بتلك الاستفهامات، يسهم في "توجيه المتلقي إلى خيار واحد مرهون بضرورة الإجابة عنها، وهي تعكس سيطرة الكاتب على مجريات الأحداث، والتحكم في ذهن المتلقي، وتسيير الخطاب تجاه ما يريده، لا حسب ما يريد الآخرون" (الشهري، 2004)، وعليه فإنها تكون مؤثرة وموجهة لذلك المتلقي، لأنّ "صيغة التوجيه الاستفهامية نمط ذو أهمية بلاغية رفيعة، إن السؤال يفترض وجود أمر يستند إليه، ويوحي بأن هناك اتفاقًا على وجود هذا الأمر" (لدية، 2015)، وهو بذلك يشرك المتلقي في عملية التفكر في الإجابة التي طرحها الكاتب في متن الاستفهام أو لم يطرحها، كأنه يسعى إلى جعله مصدقًا لما قاله، من خلال ما يتضمن السؤال من "شحنة حجاجية للموجه الاستفهامي من مدى عمق السؤال المطروح وذكائيته من جهة، والجواب المنتظر من جهة أخرى" (الطلبة، 2008، ص116).

ثانيًا: آليات الحِجاج اللغوية:

اللغة هي وسيلة التواصل والإخبار ونقل المعاني، وأداة الحجاج وجوهره؛ لأنها تستطيع بأدواتها وتراكيبها وأساليبها أن تفرض سلطة على المتلقي وتستميله، وتقنعه بمصداقية الرسالة التي تقدمها، وتسهم أدواتها في "خلق قوة إقناعية، وتمكين ذات الخطاب في نفس المتلقي" (الدريدي، 2011)، ويتأتى ذلك من خلال الربط بين تلك الأدوات ووظائفها والعلاقة الحجاجية التي تقوم عليها معاني الخطاب، وقد استعان ابن الخطيب بمجموعة من الآليات والأدوات اللغوية التي ساعدته على تمثيل حججه وربطها بمقاصده، محاولًا ـ من خلالها ـ التأثير في المتلقي وإقناعه بآرائه، وأبرز تلك الآليات:

1- التفضيل: يمثل أسلوب التفضيل أداة لغوية حجاجية، ويقوم على أساس "المفاضلة بين أمرين، يظن المتلقي أن لا فرق بينهما، فيلجأ الكاتب إلى بيان ذلك الفرق، وتوضيح فكرته، مستثمرًا وظائف التفضيل الدلالية، وما يحققه اسمها (أفعل التفضيل) من أغراض بلاغية مقصودة لذاتها في النص، ولا فرق في المعنى بين أن يكون أمر تلك المفاضلة حميدًا أو ذميمًا" (علوي، 2010، ج1)، وكان من الطبيعي أن يلجأ ابن الخطيب إلى هذا الأسلوب؛ لأن رسالته موضوعة من أجل

المفاضلة بين مدينتين، وترجيح كفة إحداهما على الأخرى بفعل تلك المفاضلة، لذا نجده يبدأها بعبارات تفضيلية حول مدينته (مالقة)، فيقول: "مالقة أرفع قدرًا، وأشهر ذكرًا، وأجلّ شأنًا، وأعز مكانًا، وأكرم ناسًا، وأبعد التماسًا" (ابن الخطيب، 2003، ص57).

فقد بنى خطابه على أساس آلية التفضيل من خلال اسمها (أفعل)، مهملًا ذكر الطرف الآخر (سلا) في المفاضلة؛ لأن المتلقي سيعرفه بعد أن يدخل في موضوع الرسالة، فيدرك أن الكاتب فضل الطرف الأول (مالقة) عليه، ولعل الكاتب قصد عدم ذكره، لكي يقنع المتلقي أنه لا أهمية له أمام الطرف الأول، فهذا الطرف (مالقة) لا يُطاول ولا يُجارى.

والناظر في السياق يدرك أن الكاتب لجأ إلى ستة أسماء تفضيل (أرفع، أشهر، أجلّ، أعز، أكرم، أبعد)، شملت أغلب محاور المفاضلة والمفاخرة، وحددت مظاهر الأفضلية لمالقة من حيث:

1- الرفعة والمنزلة العالية والشأن الكبير.

2- الشهرة والحضارة العظيمة.

3- تميز مكانها وأرضها.

4- كرم أهلها.

5- المنعة والقوة.

وعليه فإن الأفضلية تكون لها على مستوى المكان والإنسان والحضارة والتاريخ العريق، وقد جاء التفضيل بمنزلة حجة وضعها الكاتب أمام كل إنسان ظن خطأ أن المدينتين متساويتان، وهما في الحقيقة غير ذلك، فأثبت صحة تلك الحجة من خلال تفضيلاته التي فندت عظمة المدينة ومكوناتها، ليؤثر في المتلقي ويقنعه بمضمون تلك التفضيلات.

ويأتي التفضيل عنده دائمًا في سياق حديثه عن (مالقة) مع إهمال ذكر المفضل عليه (سلا)، ومن ذلك حديثه عن جماليات (مالقة)، فليس في الأرض مدينة أنضر منها جنابًا، ولا أغزر منها غروسًا وأعنابًا، ولا آرج أزهارًا ولا أضوأ نهارًا" (ابن الخطيب، 2003، ص62)، وقد ساعدته أسماء التفضيل (أنضر، أغزر، آرج، أضوأ) في تفنيد أوصاف المدينة، من خلال التركيز على الجزيئات المتعلقة بجمال طبيعتها، وطيب رائحة أزهارها، وجمال أزمانها ونهارها، وقصد من هذا التفضيل القائم على ذكر طرف واحد وإهمال الآخر (المفضل عليه) إلى تفضيل الأول والإمعان في ذلك، بهدف الزيادة في تحسينه وتزيينه.

لقد بنى الكاتب حججه التفضيلية على أساس ذكر المفضل واسم التفضيل وحذف المفضل عليه للحط من شأنه، وعدم وضعه في ميزان مع المفضل الذي يفوقه ولا يمكن له مجاراته والتنافس معه، لذا فهما ضدان متناقضان، أحدهما يمتلك جميع مقومات الفخر، والآخر لا يملك شيئًا منها، وهذه حجة ترتكز على استمالة المتلقي إلى المفضل والابتعاد به عن المفضل عليه المحذوف والمهمل الذكر، ما يؤثر في عقله وعاطفته، ليدرك أنها لا وجه للمقارنة بين طرفي التفضيل، وأنهما لا يجتمعان في سياق واحد أو تركيب واحد.

2- الشرط: وهو "أسلوب لغوي ينبني بالتحليل على جزأين، الأول بمنزلة السبب والثاني بمنزلة المسبب، يتحقق الثاني بتحقق الأول وينعدم بانعدامه، فوجود الشيء معلق على وجود الأول" (المخزومي، 1986، ص284)، وبهذا يغدو وسيلة حجاجية ودليلًا عقليًّا؛ لأنه "يربط بين قضيتين، ويجعل تحقق أمر ما مرهونًا بتحقق أمر آخر" (الغرايبة، 2019، ص67)، ويؤدي الشرط إلى تقوية الحجة والمعنى؛ لما يحققه من علاقات متينة بين الأحداث المشروطة بعضها ببعض (دايك، 2000، ص103)، وقد استعان به ابن الخطيب، مستخدمًا بعض أدواته التي تعينه على تحقيق مقصده في المفاضلة، وتمثل حجاجًا يؤثر بواسطته في المتلقي، ومن تلك الأدوات:

أ- أما: أكثر ابن الخطيب من استخدام (أما) الشرطية في سياقات تفصيله فضائل (مالقة)، فنجده يفتتح حديثه بها، ثم يذكر المظهر الذي تتفوق فيه، جاعلًا إياه فعلًا لها، ليربطه بجوابها المتمثل بتفصيلاته، ومن ذلك قوله: "فأما المنعة، فلمالقة حرسها الله فضل الارتفاع ومزية الامتناع ..." (ابن الخطيب، 2003، ص58)، و"أما الإمارة، فلمالقة القدح المعلّى والتاج المحلَى ..." (ابن الخطيب، 2003، ص62)، و"أما المساكن، فحسبك ما بمالقة من قصور بيض ..." (ابن الخطيب، 2003، ص62)، ومثل هذه العبارات الشرطية تقوم على أساس "الارتباط التلازمي، بمعنى اقتصار ارتباط عبارة الجواب بعبارة الشرط على التلازم" (المطلبي، 1981)، كأن الجواب متحقق لا محالة، فالمنعة والإمارة والمساكن كأحداث مرهونة بالشرط (أما) تمثل أمورًا واسعة، تحتاج إلى تفصيل وإظهار، لذا جاءت أجوبتها كنتائج متحققة في (مالقة) ومظاهرها العمرانية والحضارية، وملازمة لتلك الأحداث التي مثلت أفعال الشرط.

وتأتي (أما) أيضًا في سياق الحديث عن (سلا)، وتكون في لوحات وصفية تفصيلية، كأنها مقابلة لتلك التي أشار فيها إلى تميز (مالقة)، والهدف منها في (سلا) التقليل من شأنها، من خلال عدم الإطالة في التفصيل بمظاهرها، كما كان الأمر في (مالقة)، بل إن سياقاتها جاءت لتفصيل مساوئها، كقوله: "وأما سلا، فأحوال رقيقة، وثياب في غالب الأمر خليقة ..."

(ابن الخطيب، 2003، ص61)، و"أما سلا ...، فنهل قليل، وليس بالجمهور إليه دليل" (ابن الخطيب، 2003، ص63)، وعليه فإن (أما) التفصيلية جاءت لتفند صفات (سلا) السلبية، فأحوالها هزيلة وثياب أهلها رثة، ولا يؤمها الناس ولا يقصدونها.

لقد مثلت (أما) أداة حجاجية، قامت على أساس ذكر الكل، ثم تفنيده من خلال عبارات وصفية لأحوال المدينتين، وإثبات تميز إحداهما على الأخرى، ولم ترتكز الحجج الشرطية على السبب والمسبب، وإنما على التلازم بين طرفي الشرط، وهو تلازم لا يمكن إنكاره، فما ذكره عن المدينتين معلوم، وقد جاء بالأدلة عليه بواسطة عبارات الأجوبة الشرطية.

ب- إذا: لجأ ابن الخطيب إليها عندما أراد الانتقال بالحديث من فضل طبيعة المكان إلى سمعته وشهرته، فقال: "وإذا بان فضل البقعة، فلنلم بذكر الشنعة" (ابن الخطيب، 2003، ص60)، ومثلت هذه العبارة الشرطية خاتمة لحديثه عن البقعة الذي فصل من خلاله وصف مظاهر جمال المكان في (مالقة) ونفاها عن (سلا)، وفاتحة لحديثه عن مظاهر الحضارة والسمعة للمدينتين، ما يسهم في تهيئة المتلقي إلى الدخول في موضوع جديد غير الذي سبقه، ويجعله متشوقًا لمعرفة هذا الموضوع، فينجذب نحوه ليتعرف إلى الجديد فيه، وهل ستكون (مالقة) متفوقة على (سلا) كما كانت في الموضوع الذي سبقه.

وقد جاء فعل الشرط (بان) ماضيًا متحقق الحدوث وثابتًا، كأن الكاتب يرى أن ما تحدث به عن بقعة المدينتين أصبح بائنًا، واستقر في أذهان المتلقين، ثم جاء جواب الشرط (نلم) مضارعًا، كأنه يدعو المتلقي إلى أن يصغي جيدًا ويتعمق بما سيرد الآن من أحاديث ودلائل حول أمكنة المدينتين، فيلم به ويقتنع بفحواه، وجاء الارتباط بين طرفي الشرط ليس سببيًّا، بمعنى "أن عبارة الجواب مسببة عن عبارة فعل الشرط" (المطلبي، 1981)، وإنما تلازميًّا، كأن الكاتب يلزم المتلقي أن ينظر في أحداث الجواب نتيجة نظره في سابقه (حدث فعل الشرط)، وعليه أن يُتمَّ ما بدأ به؛ لكي يلم بتفاصيل الأمر كافة، ومما يقوي هذه الحجة الشرطية المرهونة بـ(إذا) أنها جاءت في صدر الكلام، ما يلفت المتلقي؛ لأنها أول ما يواجهه، فيسعى لاكتشاف ما بعدها، ثم إنها تدل على الاستقبال، ما يسهم في تهيئته لما سيقال في المستقبل، ويكون منتظرًا ومتشوقًا له.

ج- من: استخدم ابن الخطيب (من) الشرطية بعد أن أنهى مفاضلته وحججه، مؤكدًا أنها "حجج لا تُدفع" (ابن الخطيب، 2003، ص65)، فقال: "فمن شاء فليؤثر الاتصاف بالإنصاف، ومن شاء فليؤثر الخلاف وسجايا الأخلاف" (ابن الخطيب، 2003، ص65)، وجاءت هذه العبارة الشرطية مرهونة بفعل الشرط الدال على المشيئة، كأنه يخاطب المتلقي ويخيره بحسب مشيئته بالنظر إلى حججه في المفاضلة، وتكون نتيجة ذلك النظر أن يكون المتلقي عادلًا، يؤثر الإنصاف لما سمعه من أوصاف، ويحكم بما يمليه عليه ضميره، أو يخالفه فيكون مجحفًا في حكمه، بسبب خلاف ما أو تعصب،

وتحقق الحجاج بفعل ذلك الدور الذي منحه الكاتب للمتلقي، وجعله مشاركًا في التقويم والمفاضلة، ما يحقق عملية التأثير فيه؛ لأنه يحرك ذهنه بالبحث والتقصي عن صحة المعلومات المقدمة، ولعل هذه الحجة الشرطية تعكس ارتباطًا سببيًّا، فالإنصاف بالحكم ناتج أو مسبب عن مشيئة المتلقي بأن يكون عادلًا، والإجحاف ناتج عن إيثاره الظلم في الحكم نتيجة سبب ما.

د- لو: جاءت (لو) في ختام المفاخرة، لتعبر عن أن هناك فضائل كثيرة لم يوردها الكاتب حول (مالقة)، وإنما اكتفى بما ذكر؛ لأنه لم يشأ الإطالة، يقول: "ولو شئتُ لجلبت من أدلة التفضيل ما لا يدفع عقده، ولا سبيل لنقده، لكن الله أغنى عن ذلك، وكفى بهذه المسالك بيانًا للسائل" (ابن الخطيب، 2003، ص65)، وقد حققت العبارة معنى الامتناع عن ذكر الفعل، وهو امتناع جاء بإرادة الكاتب، فلو أنه شاء لجلب أدلة كثيرة على تفضيله (مالقة)، ثم استدرك بأن ما جاء على ذكره كافيًا لبيان منزلتها وأفضليتها، وهذا يلفت المتلقي إلى حجة الشرط المتعلقة بالمزايا الكثيرة التي لم يذكرها الكاتب، لأنه لا يمكن الإحاطة بها، واكتفى بما أورده، وهو أمر كثير وجليل، ولعل مثل هذا الشرط يدفع بالمتلقي إلى البحث عن المسكوت عنه الذي لم يأتِ عليه الكاتب، فيعود إلى المصادر ليدرك أهو صحيح أم لا.

3-الاقتباس: يمكن جعل الاقتباس ضمن آليات الحجاج اللغوية؛ لأنه يقوم على أساس تضمين الكاتب ألفاظًا وتراكيب لغوية من كلام غيره، وإدراجها في كلامه حتى تغدو كأنها له، وهذا يحتاج إلى قدرة منه على تكييف لغتها مع مقاصده وتحقيقها مراميه، وكانت السمة الغالبة على تضمينات ابن الخطيب هي اجتزاؤه كلمات وتعابير من آيات القرآن الكريم، منسجمة مع آرائه، ومناسبة لحجاجه، وتمثل شواهد عقلية ومعنوية، فيتحقق ـ من خلالها ـ التصديق والاستدلال والخبر والبرهنة على الوقائع؛ لما تملك من خصائص متمثلة في "كسب تأييد المتلقي في شأن قضية أو فعل مرغوب فيه من جهة، ثم إقناعه عن طريق إشباع مشاعره وفكره معًا، حتى يتقبل القضية ويوافق عليها أو على الفعل موضوع الخطاب" (أعراب، 2001، ص109_ 110).

لقد استعان ابن الخطيب بتعابير الآيات القرآنية؛ لكونها الأكثر قوة وتأثيرًا في النفس، فمنذ أن استهل المفاخرة سعى إلى جعل نفسه منصفًا، وأنه يريد إثبات الحق، ولن يميل إلى طرف على حساب الآخر_ وفقاً لقوله_ يقول مخاطبًا من طلب منه المفاضلة: "سألتني عرفك الله عوارف السعد المقيم، وحملني وإياك على الصراط المستقيم" (ابن الخطيب، 2003، ص57)، فقد اقتبس التركيب (الصراط المستقيم) من قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة، 6)، وقد ساعده هذا التركيب القرآني على إقامة حجته المتعلقة بـ"دفع تهمة الانحياز عن نفسه منذ البداية، فهو لم يقصد إلا إقرار الحق، ونسبة الفضل

إلى أهله" (زكي، 2012، ص25)، وهو تركيب قرآني لا شك فيه، ويحمل طاقة إقناعية كبيرة تجعل المتلقي منذ البداية يتأكد من صحة المعلومات التي سترد في الرسالة، لكن ربما يتغير رأيه بعد التفكر فيها أو يثبت صدقها.

ولكي يعزز أقواله حول (مالقة) ومنعتها، فقد لجأ إلى تركيب قرآني ربطه بكلامه، ومثّل دليلًا عليه، يقول: إنها "اقتعدت الجبل كرسيًّا، ورفعها الله مكانًا عليًّا" (ابن الخطيب، 2003، ص58)، فالتركيب (مكانًا عليًّا) مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (مريم، 57)، وقد ساعده التركيب في تقوية حجته وأقواله حول المدينة وتحصينها، فاتسقت دلالته مع مقصده المتمثل بمنعتها ورفعتها، ما يؤكد انتصاره لها وإعزاز شأنها، مقابل ضآلة شأن (سلا)، وفي موضع آخر يعيد صياغة إحدى آيات القرآن الكريم، لتتناسب مع معانيه، وتعكس مشاعره، وتؤثر في نفس المتلقي، فيقول واصفًا جمال (مالقة) وأناقة مساكنها: "جنة السيد، وما أدراك ما بها من جنة دانية القطوف، سامية السقوف" (ابن الخطيب، 2003، ص62)، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ (الحاقة، 22، 23)، فلجأ إلى تغيير ترتيب ألفاظ الآية، فقدم (دانية) على (قطوف)؛ لتتسق مع السجع في عبارتيه المتعاقبتين، ثم إنها ترسم صورة فائقة الجمال لـ(مالقة) التي جعلها جنة الله في أرضه، أخذت صفاتها من صفات جنته في الآخرة، ففيها من الأشجار والثمار المتنوعة سهلة القطف لدنوها، أما سقوف مساكنها، فعالية شامخة، وقد هدف من هذا التوظيف إلى تصوير المشهد أمام المتلقي، ليفتتن به ويقتنع بجمال المدينة وبرأي الكاتب فيها.

إن هذه المزج بين كلام الكاتب وألفاظ القرآن الكريم يقوي أسلوبه وحججه، ويعمق تأثيره في المتلقي الذي تعجبه ألفاظ القرآن، ويقتنع بمدلولاتها؛ لأنها ثابتة مستقرة في الأذهان، ومما يقوي ذلك ـ أيضًا ـ قدرة الكاتب على وضعها في موضعها المناسب الذي يعكس استطاعته تكييفها وجعلها منسجمة مع مقاصده ومعانيه، فضلًا عن أنها تبعد الملل عن المتلقي؛ لما فيها من جماليات وإيحاءات تحرك ذهنه، وتنحو به منحى التأويل لمعرفة أسرارها وغايات الكاتب من وراء تضمينها.

الخاتمة

سعت الدراسة إلى إلقاء الضوء على الحِجاج في رسالة "مفاخرات مالقة وسلا"، للأديب الأندلسي لسان الدين بن الخطيب، وأهم الآليات الإخبارية، والبلاغية واللغوية التي توسل بها لتمثيل حجاجه، وجعله قادرًا على التأثير في المتلقي، واستمالته والتأثير فيه، وخلصت إلى النتائج الآتية:

أولًا: لجأ ابن الخطيب إلى تقديم الأخبار والوقائع حول مدينتي (مالقة، سلا)، وغدت تلك الأخبار كأنها حجج، برهن ـ من خلالها ـ على صدق أقواله المتعلقة بتفضيله (مالقة) على (سلا)، وارتبطت بمظاهر تؤكد ذلك التفضيل كتفوق (مالقة) في موقعها، وأمكنتها، وتاريخها، وحضارتها وصناعاتها.

ثانيًا: استعان الكاتب بمجموعة من الآليات البلاغية واللغوية كالتشبيه، والاستعارة، والكناية، وفنون البديع، وأساليب الإنشاء، والتفضيل، والشرط والاقتباس؛ لكي تساعده على تمثيل حججه وتأكيدها، وتمنحها القدرة على إقناع المتلقي والتأثير فيه.

ثالثًا: جاء حجاج ابن الخطيب منحازًا إلى مدينته (مالقة) دون الأخرى (سلا)، من خلال إظهار ميزات الأولى وإهمالها في الثانية، وهذا الأمر يجعل الحكم متروكًا للمتلقي، إما باقتناعه بآراء الكاتب، أو شعوره بمبالغته فيها، أو عدم قبولها ونقضها.

رابعًا: مثّل الحجاج ظاهرة بارزة في الرسالة، ساعدت على تمثيل أفكارها وتركيزها وبسطها أمام المتلقي، ما يجعله يتعرف إلى المدينتين، ويكتشف غايات الكاتب، ليبدي رأيه حول ذلك كله.

خامسًا: أدى الحجاج وظيفة تداولية، من خلال الوصف وآلياته، فجاء مشحونًا بقيم كثيرة، هدفها توجيه المتلقي نحو المعنى المراد إثباته، المتعلق بتفوق (مالقة) على (سلا)، وأسهم التفصيل في وصف الجزيئات في توضيح ذلك وبيانه، ما يقوي جانب الإقناع فيه.

الحواشي

(1) من الدراسات على سبيل المثال: صولة، عبد الله، (2007)، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، الطبعة الثانية، بيروت_ لبنان، دار الفارابي. بوزناشة، نور الدين، (2015)، الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي_ دراسة تقابلية مقارنة، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة سطيف 2، الجزائر. رحمة، لمياء مدني، (2015)، آليات الحجاج اللغوية في الأحاديث القدسية_ دراسة تداولية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزيرة، السودان. السلمي، عبد الرحمن، (2017)، بلاغة الخطاب الحجاجي في النثر الفني_ الخطابة في العصر الأموي أنموذجًا، مجلة الأثر، الجزائر، جامعة قاصدي مرباح، (29)، 91_104. الغرايبة، علاء، (2019)، آليات الحجاج اللغوي وشبه المنطقي لوصايا الحكماء في العصر الجاهلي_ دراسة تداولية، مجلة دراسات: العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، 46 (4)، 92_ 78.

(2) مالقة: مدينة على ساحل البحر الأبيض المتوسط جنوب شرق الأندلس (إسبانيا حاليًا)، وكانت أيام ابن الخطيب تعدّ العاصمة الثانية بعد مدينة غرناطة في مملكة بني الأحمر، وهي مسقط رأس ابن الخطيب وموطنه (الحموي، د.ت، ج5/ ص52).

(3) سلا: تقع على ساحل المحيط الأطلسي بأقصى المغرب، ويفصلها عن مدينة الرباط جنوبًا نهر أبو الرقراق (بورجراج)، وقد أقام فيها ابن الخطيب عندما نفي مع سلطانه محمد الخامس عام 762هـ/ 1360م، وظل فيها حتى عام 764هـ/ 1362م حينما عاد ثانية إلى غرناطة مع سلطانه المذكور بفضل مساعدة ملك قشتالة وسلطان بني مرين (الحموي، د.ت، ج3/ ص262).

(4) ينظر: رسالة الشقندي أبو الوليد إسماعيل بن محمد (ت629هـ/ 1231م) في فضل الأندلس والدفاع عنها (المقري، 1968، ج3/ ص186_ 222).

(5) منهم مثلًا: جبران، محمد مسعود، (2004)، فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب_ المضامين والخصائص الأسلوبية، الطبعة الأولى، بيروت_ لبنان، دار المدار الإسلامي.

(6) ابن علي السَّلَوي: محمد بن محمد بن الحاج بن أحمد السلوي أو السلاوي الدكالي، من علماء مدينة سلا وأدبائها، تنقل في عدة مدن مغربية، وعمل كاتبًا وقاضيًا، توفي سنة 1364هـ/ 1944م (ابن سودة، 1967، ج2/ 502).

(7) أقوار: جمع قور بمعنى نطاق أو سياج (اللسان، قور).

(8) رمث: أرض مرمثة بمعنى خصبة ينبت فيها العشب والشجر (اللسان، رمث).

(9) قامرة: التربة الخصبة المنتجة، وقصد أن فيها محصولات زراعية متنوعة ومخازن تخزن فيها (اللسان، قمر).

(10) البحر العديم الصداع: بحر كبير واسع ذو ماء كثير (اللسان، عدم، صدع).

(11) بطيحة: أرض كلها حصى، وغير صالحة للزراعة (اللسان، بطح).

(12) الأدارسة: قصد بهم الحموديين أو بني حمود، وهم من سلالة الأدارسة (أسرة هاشمية حجازية لجأت إلى المغرب فرارًا من العباسيين، وأسست دولة فيه)، وقد أسسوا إمارة مستقلة في مالقة من عام 409هـ/ 1018م إلى 449هـ/ 1057م، وانتهت هذه الدولة عندما استولى بنو زيري ملوك غرناطة على مالقة سنة 449هـ (ابن أبي زرع، 1972؛ مؤنس، 1992؛ الموسوعة الميسرة، 2007، ج1).

(13) الصناهجة: صنهاجة قبيلة بربرية كبيرة، منتشرة في إفريقيا والمغرب، وقد أسست دولة بني زيري، ودولة المرابطين في الأندلس (ابن أبي زرع، 1972؛ ابن خلدون، 2000، ج6؛ محمود، 1956).

(14) بنو نصر: هم بنو زيري حكام غرناطة أيام ملوك الطوائف، أصلهم من البربر يرجع إلى قبيلة صنهاجة، ويعرفون كذلك ببني الأحمر، وهم ملوك غرناطة آخر مملكة إسلامية في الأندلس، وينسبون إلى قبيلة الخزرج من الأنصار (ابن الخطيب، 1928؛ مؤنس، 1992).

(15) القدح المعلى: السهم السابع في الميسر عند العرب في الجاهلية، وهو أكثر السهام ربحًا (ابن قتيبة، 1924)، وقد استخدمه مجازيًّا للدلالة على علو شأن المدينة.

(16) قصد كتاب "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" لابن عِذاري المراكشي (ت 695هـ/ 1245م تقريبًا).

(17) قصد كتاب "المقتبس في تاريخ الأندلس" لابن حيّان القرطبي (ت469هـ/ 1076م).

(18) اسم الكتاب غامض، وربما قصد به كتاب "التاريخ الكبير أو كتاب المتين" لابن حيّان، وهو من الكتب المفقودة.

(19) قصد كتاب "تاريخ علماء الأندلس" لابن الفرضي القرطبي (ت403هـ/ 1012م).

(20) قصد كتاب "الصلة في تاريخ أئمة الأندلس" لابن بشكوال القرطبي (ت578هـ/ 1182م).

(21) قصد كتاب "صلة الصلة" لأحمد بن الزبير الجياني (ت627هـ/ 1239م)، وهو ذيل لكتاب "الصلة" لابن بشكوال.

(22) قصد كتاب "التكملة لكتاب الصلة" لابن الأبار البلنسي (ت658هـ/ 1259م).

(23) ابن عسكر: أبو عبد الله محمد بن علي الغساني (ت636هـ/ 1238م)، وهو من كبار مؤرخي مالقة، وقصد هنا كتابه "الإكمال والإتمام في صلة الإعلام بمحاسن الأعلام من أهل مالقة الكرام"، ولم يتمه؛ لأن المنية وافته، فأكمله ابن أخيه أبو بكر محمد بن محمد بن خميس (توفي بعد 642هـ/ 1244م) وسماه "أعلام مالقة"، وقد كتب القاضي الغرناطي أبو الحسن المالقي النباهي (توفي بعد 792هـ/ 1389م) ذيلًا لكتاب ابن عسكر سماه "ذيل على تاريخ مالقة" (ابن الخطيب، 1973، م4؛ ابن عسكر، وابن خميس، 1999).

(24) قصد كتاب "الإحاطة في أخبار غرناطة" للسان الدين بن الخطيب (ت776هـ/ 1374م).

(25) قلهرات: جمع قلهرة، بمعنى قلعة أو برج القلعة (ابن الخطيب، 2003، ص58، حاشية 310).

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر باللغة العربية

1. ابن الأثير، ضياء الدين، (د.ت)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، د.ط، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، القاهرة_ مصر، دار نهضة مصر للطبع والنشر.
2. أعراب، حبيب، (2001)، الحجاج والاستدلال الحجاجي_ عناصر استقصاء نظري، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 30 (1)، 97_ 158.
3. أنيس، إبراهيم، (1952)، موسيقى الشعر، الطبعة الثانية، القاهرة_ مصر، مكتبة الأنجلو المصرية.
4. أوستين، جون، (1991)، نظرية أفعال الكلام العامة، د.ط، ترجمة (عبد القادر قينيني)، الدار البيضاء_ المغرب، إفريقيا الشرق.
5. بليت، هنريش، (1999)، البلاغة والأسلوبية_ نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، الطبعة الأولى، ترجمة (محمد العمري)، الدار البيضاء_ المغرب، إفريقيا الشرق.
6. بنفنيست، إميل، (1999)، الذاتية في اللغة، ترجمة (حميد سمير وعمر طي)، مجلة نوافذ، جدة، النادي الأدبي الثقافي، (9)، سبتمبر، 61_ 76.
7. جبران، محمد مسعود، (2004)، فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب_ المضامين والخصائص الأسلوبية، الطبعة الأولى، بيروت_ لبنان، دار المدار الإسلامي.
8. الجرجاني، عبد القاهر، (1984)، دلائل الإعجاز، د.ط، تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة_ مصر، مكتبة الخانجي.
9. الحباشة، صابر، (2008)، التداولية والحجاج_ مداخل ونصوص، الطبعة الأولى، دمشق_ سوريا، صفحات للدراسات والنشر.
10. الحموي، ياقوت، (د.ت)، معجم البلدان، د.ط، تحقيق فريد الجندي، بيروت_ لبنان، دار الكتب العلمية.
11. الخزعلي، محمد، (2006)، لسان الدين بن الخطيب وأدب الرحلة، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، 18 (39)، 411_ 432.
12. ابن الخطيب، لسان الدين، (1973)، الإحاطة في أخبار غرناطة، الطبعة الثانية، تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة_ مصر، مكتبة الخانجي.

13.ابن الخطيب، لسان الدين، (2003)، خطرة الطيف_ رحلات في المغرب والأندلس، الطبعة الأولى، تحقيق أحمد مختار العبادي، أبو ظبي_ الإمارات، دار السويدي، بيروت_ لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

14.ابن الخطيب، لسان الدين، (1928)، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، د.ط، صححه ووضع فهارسه محب الدين الخطيب، القاهرة_ مصر، المطبعة السلفية.

15.ابن خلدون، عبد الرحمن، (2000)، تاريخ ابن خلدون، د.ط، ضبط متنه ووضع حواشيه خليل شحادة، بيروت_ لبنان، دار الفكر.

16.دايك، فان، (2000)، النص والسياق_ استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، د.ط، ترجمة (عبد القادر قينيني)، الدار البيضاء_ المغرب، بيروت_ لبنان، إفريقيا الشرق.

17.الدريدي، سامية، (2011)، الحجاج في الشعر العربي_ بنيته وأساليبه، الطبعة الثانية، إربد_ الأردن، عالم الكتب الحديث.

18.ابن أبي زرع، علي، (1972)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الطبعة الأولى، الرباط_ المغرب، دار المنصور للطباعة والوراقة.

19.زكري، خالد، (2005)، الحجاج والحق في الذاتية، ترجمة (جعفر عاقيل)، مجلة علامات، الرباط، جامعة محمد الخامس، (23)، 139_ 142.

20.زكي، علاء الدين، (2012)، رسالة المفاخرة بين مالقة وسلا للسان الدين بن الخطيب، مجلة أفكار، وزارة الثقافة، الأردن، (277)، 16_ 32.

21.السكاكي، أبو يعقوب، (1987)، مفتاح العلوم، الطبعة الثانية، تحقيق نعيم زرزور، بيروت_ لبنان، دار الكتب العلمية.

22.ابن سودة، عبد السلام، (1967)، إتحاف المطالع بوفيات القرن الثالث عشر والرابع، الطبعة الأولى، تحقيق محمد حجي، بيروت_ لبنان، دار الغرب الإسلامي.

23.الشهري، عبد الهادي، (2004)، استراتيجيات الخطاب_ مقاربة لغوية تداولية، الطبعة الأولى، بيروت_ لبنان، دار الكتب الجديدة المتحدة.

24.صالحي، سمية، (2015)، الحجاج في الخطاب الشعري عند المتنبي_ مقاربة تداولية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة ورقلة، الجزائر.

25.الصديق، حسين، (2005)، المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، الطبعة الثانية، بيروت_ لبنان، مكتبة لبنان ناشرون.

26.صولة، عبد الله، (2010)، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة أو الحجاج، ضمن كتاب: الحجاج_ مفهومه ومجالاته، الطبعة الأولى، إربد_ الأردن، عالم الكتب الحديث.

27.صولة، عبد الله، (د.ت)، الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج_ الخطابة الجديدة" لبيرلمان وتيتيكان، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، د.ط، إشراف حمادي صمود، تونس_ تونس، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية.

28.الطلبة، محمد سالم، (2008)، الحجاج في البلاغة المعاصرة، الطبعة الأولى، بيروت_ لبنان، دار الكتاب الجديد المتحدة.

29.عبد الرحمن، طه، (2000)، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، الطبعة الثانية، الدار البيضاء_ المغرب، المركز الثقافي العربي.

30.عبد الرحمن، طه، (1998)، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، الطبعة الأولى، الدار البيضاء_ المغرب، المركز الثقافي العربي.

31. أبو العدوس، يوسف، (2007)، التشبيه والاستعارة_ منظور مستأنف، الطبعة الأولى، عمان_ الأردن، دار المسيرة للنشر والتوزيع.

32. العزاوي، أبو بكر، (2006)، اللغة والحجاج، الطبعة الأولى، الدار البيضاء_ المغرب، العمدة في الطبع.

33.ابن عسكر، أبو عبد الله وابن خميس، أبو بكر، (1999)، أعلام مالقة، الطبعة الأولى، تحقيق عبد الله الترغي، الرباط_ المغرب، دار الأمان، بيروت_ لبنان، دار الغرب الإسلامي.

34.العسكري، أبو هلال، (1952)، كتاب الصناعتين_ الكتابة والشعر، الطبعة الأولى، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة_ مصر، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

35.العشراوي، عبد الجليل، (2016). آليات الحجاج القرآني_ دراسة في نصوص الترغيب والترهيب، الطبعة الأولى، إربد_ الأردن، بيروت_ لبنان، عالم الكتب الحديث.

36.علوي، حافظ إسماعيلي، (2010)، الحجاج_ مفهومه ومجالاته، الطبعة الأولى، إربد_ الأردن، عالم الكتب الحديث.

37.العمري، محمد، (1999)، البلاغة العربية_ أصولها وامتداداتها، د.ط، الدار البيضاء_ المغرب، بيروت_ لبنان، إفريقيا الشرق.

38.ابن عيسى، عبد الحليم، (2006)، البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم_ سورة الأنبياء نموذجًا، مجلة التراث العربي، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، (102)، السنة السادسة والعشرون، 33_ 49.

39.الغرايبة، علاء الدين، (2019)، آليات الحجاج اللغوي وشبه المنطقي لوصايا الحكماء في العصر الجاهلي_ مقاربة تداولية، مجلة دراسات: العلوم الإنسانية والاجتماعية، عمان، الجامعة الأردنية، 46 (4)، 62_ 78.

40.الغرايبة، علاء الدين والعمري، أمل، (2019)، آليات الحجاج البلاغي لوصايا الحكماء في العصر الجاهلي_ مقاربة تداولية، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإنسانية، غزة، 27 (3)، 183_ 210.

41.ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، (1924)، الميسر والقداح، د.ط، تحقيق محب الدين الخطيب، القاهرة_ مصر، المطبعة السلفية.

42.لالاند، أندريه، (2001)، موسوعة لالاند الفلسفية، الطبعة الثانية، ترجمة (خليل أحمد خليل)، بيروت_ لبنان، باريس_ فرنسا، منشورات عويدات.

43.لدية، عزيز، (2015)، نظرية الحجاج_ تطبيق على نثر ابن زيدون، الطبعة الأولى، إربد_ الأردن، عالم الكتب الحديث.

44.مؤنس، حسين، (1992)، معالم تاريخ المغرب والأندلس، الطبعة الثانية، القاهرة_ مصر، دار الرشاد.

45.المبخوت، شكري، (د.ت)، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، د.ط، إشراف حمادي صمود، تونس_ تونس، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية.

46.محمود، حسن أحمد، (1956)، قيام دولة المرابطين، د.ط، القاهرة_ مصر، دار الفكر العربي.

47.المخزومي، مهدي، (1986)، في النحو العربي_ نقد وتوجيه، الطبعة الثانية، بيروت_ لبنان، دار الرائد العربي.

48.المريني، نجاة، (1994)، محمد بن علي الدكالي السلاوي وأرجوزته "إتحاف أشرف الملا ببعض أخبار الرباط وسلا"، مجلة عالم الكتب، الرياض، دار ثقيف للنشر والتأليف، 15 (1)، 27_ 43.

49.المصري، أحمد محمود، (2014)، رؤى في البلاغة العربية_ دراسة تطبيقية لمباحث علم البديع، الطبعة الأولى، الإسكندرية_ مصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.

50.المطلبي، مالك، (1981)، في التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر، د.ط، بغداد_ العراق، دار الرشيد للنشر.

51.المقري، أحمد، (1968)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، د.ط، تحقيق إحسان عباس، بيروت_ لبنان، دار صادر.

52.ابن منظور، جمال الدين، (د.ت)، لسان العرب، د.ط، بيروت_ لبنان، دار صادر.

53.الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، (2007)، الطبعة السابعة، القاهرة_ مصر، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة.

54.الولي، محمد، (2005)، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، الطبعة الأولى، الرباط_ المغرب، دار الأمان.

ثانياً: رومنة المراجع العربية

1. Abdel Rahman, T, (2000), In the origins of dialogue and the renewal of theology (in Arabic), Secod Edition, ALdaar ALbayda'u- Morocco, The Arab Cultural Center.
2. Abdel Rahman, T, (1998), The tongue and the balance or mental proliferation (in Arabic), First Edition, ALdaar ALbayda'u- Morocco, The Arab Cultural Center.
3. Abu Al-Adous, Y, (2007), Analogy and Metaphor- A Resumed Perspective (in Arabic), First Edition, Amman- Jordan, Al Masirah for Publishing and Distribution House.
4. Al-Ashrawi, A, (2016), The mechanisms of the Quranic Argument_a study of the texts of encouragement and intimidation (in Arabic), First Edition, Irbid- Jordan, Beirut- Lubnan, The Modern World of Books.
5. AL-Askari, A, (1952), The Book of the Two Industries- Writing and Poetry (in Arabic), First Edition, Investigated by Ali Muhammad Al-Bajawi and Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Cairo- Egypt, House of Revival of Arabic Books, Issa Al-Babi Al-Halabi and Co.
6. Alawi, H, (2010), Argument- Its concept and its fields (in Arabic), First Edition, Irbid- Jordan, The Modern World of Books.
7. Al-Azzawi, A, (2006), Language and Pilgrims (in Arabic), First Edition, ALdaar ALbayda'u- Morocco, ALeumdat in Print.
8. AL-Dridi, S, (2011), Argument in Arabic Poetry- Its Structure and Methods (in Arabic), Secod Edition, Irbid- Jordan, The Modern World of Books.
9. AL-Ghariybah, A, (2019), Evidence Wisemen Teachings for their Descendant and Tribes- Pre Islamic Era (in Arabic), Dirasat Journal: Human and Social Sciences, Amman, University of Jordan, 46 (4), 62-78.
10. AL-Ghariybeh, A & Omari, A, (2019), The Mechanisms of Rhetorical Argument in wisemen's Teachings in the pre Islamic era- A Deliberative Approximation (in Arabic), Journal of the Islamic University of Human Studies, Gaza, 27 (3), 183-210.

11. Al-Habasha, S, (2008), Deliberative and Argument- Entries and Texts (in Arabic), First Edition, Damascus- Syria, Pages for Studies and Publication.
12. Al-Hamawi, Y, (N.D), Dictionary of Countries (in Arabic), D.T, Investigated by Farid Al-Jundi, Beirut- Lubnan, House of Scientific Books.
13. Al-Jurjani, A, (1984), Evidence of Miracles (in Arabic), D.T, Investigated by Mahmoud Muhammad Shaker, Cairo- Egypt, Al-Khanji Library.
14. AL-Khazali, M, (2006), Lisan al-Din Ibn al-Khatib and travel literature (in Arabic), Umm Al-Qura University Journal of Sharia Sciences and Arabic Language and Literature, Makkah Al-Mukarramah, Umm Al-Qura University, 18 (39), 411- 432.
15. AL-Mabkhout, S, (N.D), The theory of Argument in language (in Arabic), within the book: The most important theories of Argument in the Western traditions from Arustu to today, D.T, Supervised by Hammadi Samoud, Tunis, University of Letters, Arts and Humanities, Official Press of the Republic of Tunisia.
16. AL-Makhzoumi, M, (1986), In Arabic Grammar- Criticism and Guidance (in Arabic), Secod Edition, Beirut-Lubnan, Al-Raed Al-Arabi House.
17. Al-Maqri, A, (1968), Breath of goodness from the fresh branch of Andalusia (in Arabic), D.T, Investigated by Ihsan Abbas, Beirut- Lubnan, Sader House.
18. Al-Marini, N, (1994), Muhammad bin Ali Al-Dukali Al-Salawi and his commentary "Ithaf Achraf Al-Mulla's with some news of Rabat and Sala" (in Arabic), World of Books Magazine, Riyadh, Thaqif for Publishing and Writing House, 15 (1), 27-43.
19. Al-Masry, A, (2014), Visions in Arabic Rhetoric- An Applied Study of the Investigations of Budaiya Science (in Arabic), First Edition, Alesxandria- Egypt, Al-Wafaa for Donia Printing and Publishing House.
20. Al-Mutalibi, M, (1981), In the linguistic structure of contemporary Iraqi poetry (in Arabic), D.T, Baghdad- Iraq, Al-Rasheed Publishing House.
21. Al-Omari, M, (1999), Arabic Rhetoric- its origins and extensions (in Arabic), D.T, ALdaar ALbayda'u- Morocco, Beirut- Lubnan, East Africa.
22. Al-Sakaky, A, (1987), Miftah AL-Ulum (in Arabic), Secod Edition, Investigated by Naim Zarzour, Beirut- Lubnan, House of Scientific Books.
23. Al-Ssddyq, H, (2005), The debate in Islamic Arabic literature (in Arabic), Secod Edition, Beirut- Lubnan, Lubnan Library Publishers.
24. AL-Shehri, A, (2004), Discourse strategies- a pragmatic linguistic approach (in Arabic), Secod Edition, Beirut- Lubnan, New United Book House.

25. AL-Tulbha, M, (2008), Argument in Contemporary Rhetoric (in Arabic), First Edition, Beirut-Lubnan, United New Book House.
26. AL-Wali, M, (2005), Borrowing in Greek, Arab and Western Stations (in Arabic), First Edition, Rabat- Morocco, Al-Aman House.
27. Anis, I, (1952), Poetry music (in Arabic), Secod Edition, Cairo- Egypt, Anglo-Egyptian Library.
28. 'Araabe, H, (2001), Argumentative and Argumentative Inference- Elements of A theoretical investigation (in Arabic), Alam Al-Fikr Magazine, The National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait, 30 (1), 97-158.
29. Austin, J, (1991), The Theory of General Speech Actions (in Arabic), D.T, Translated by (Abdel-Qader Quenini), ALdaar ALbayda'u- Morocco, East Africa.
30. Benveniste, E, (1999), Subjectivity in Language (in Arabic), Translated by (Hamid Samir and Omar Tai), Nawafidha Magazine, Jeddah, Literary and Cultural Club, (9), September, 61-76.
31. Blit, H, (1999), Rhetoric and Stylistics- Towards a Semiotic Model for Text Analysis (in Arabic), First Edition, Translated by (Muhammad Al-Omari), ALdaar ALbayda'u- Morocco, East Africa.
32. Dayke, V, (2000), Text and context- Research investigation into the semantic and pragmatic discourse (in Arabic), D.T, Translated by (Abdel-Qader Quenini), ALdaar ALbayda'u- Morocco, Beirut- Lubnan, East Africa.
33. Facilitated Encyclopedia of Islamic History (in Arabic), (2007), Seventh Edition, Cairo-Egypt, Iqra Establishment for Publishing, Distribution and Translation.
34. Ibn Abi Zara', A, (1972), Al-Anees Al-Mutrib in Rawd Al-Qirtas in the News of the Kings of Morocco and the History of the City of Fas (in Arabic), First Edition, Rabat- First Edition, Al-Mansour for printing and paper House.
35. Ibn AL-Atheer, D, (N.D), The Walking Parable in the Literature of the Writer and Poet (in Arabic), D.T, Investigated by Ahmed Al-Hofi and Badawi Tabana, Cairo- Egypt, Nahdet Misr for printing and publishing House.
36. Ibn Al-Khatib, L, (1928), Al-Lamaha Al-Badaria in the Nasrid State (in Arabic), D.T, corrected and indexed by Muhib Al-Din Al-Khatib, Cairo- Egypt, Salafi Press.
37. Ibn Al-Khatib, L, (1973), Briefing in Granada News (in Arabic), Secod Edition, Investigation by Muhammad Abdullah Annan, Cairo- Egypt, Al-Khanji Library.
38. Ibn AL-Khatib, L, (2003), Dangerous Spectrum- Journeys in Morocco and Andalusia (in Arabic), First Edition, Investigated by Ahmed Mukhtar Al-Abadi, Abu Dhabi- Emirates, Al-Suwaidi House, Beirut- Lubnan, the Arab Foundation for Studies and Publishing.

39. Ibn Askar, A & Ibn Khamis, A, (1999), Flags of Malaga (in Arabic), First Edition, Investigation by Abdullah Al-Taraghi, Rabat- Morocco, Al-Aman House, Beirut- Lubnan, Al-Gharb Al-Islami House.
40. Ibn Issa, A, (2006), The argumentative statement on the inimitability of the Noble Qur’an- Surat Al-Anbiya as a model (in Arabic), Arab Heritage Magazine, Damascus, Union of Arab Writers, (102), Twenty-sixth Year, 33-49.
41. Ibn Khaldoun, A, (2000), The History of Ibn Khaldun (in Arabic), D.T, controlling its text and placing his footnotes Khalil Shehadeh, Beirut- Lubnan, Al-Fikr House.
42. Ibn Manzur, J, (N.D), Lisan Al Arab (in Arabic), D.T. Beirut- Lubnan, Sader House.
43. Ibn Sauda, A, (1967), Ithaf al-Mutla'a, in the deaths of the thirteenth and fourth centuries (in Arabic), First Edition, Investigated by Muhammad Hajji, Beirut- Lubnan, Islamic West House.
44. Ibn Qutaiba, A, (1924), ALmaysir and Al-Qaddah (in Arabic), D.T, Investigated by Moheb Al-Din Al-Khatib, Cairo- Egypt, Salafi Press.
45. Jubran, M, (2004), Arts of Literary Prose in the Effects of Lisan Al-Din Bin Al-Khatib- Contents and Stylistic Characteristics (in Arabic), First Edition, Beirut- Lubnan, AL-Madar al-Islami House.
46. Ladia, A, (2015), The theory of Argument- an application to the prose of Ibn Zaydun (in Arabic), First Edition, Irbid- Jordan, The Modern World of Books.
47. Laland, A, (2001), Laland Philosophical Encyclopedia (in Arabic), Secod Edition, Translated by (Khalil Ahmed Khalil), Beirut- Luban, Paris- France, Oweidat Publications.
48. Mahmoud, H, (1956), The establishment of the Almoravid state (in Arabic), D.T, Cairo- Egypt, Arab Thought House.
49. Munis, H, (1992), Landmarks of the History of Morocco and Andalusia (in Arabic), Secod Edition, Cairo- Egypt, Al-Rashad House.
50. Salehi, S, (2015), Argument in the poetic discourse of Al-Mutanabbi- A pragmatic approach (in Arabic), Master's Thesis Unpublished, University of Ouargla, Algeria.
51. Soula, A, (2010), Arabic rhetoric in the light of the new rhetoric or Argument (in Arabic), in the book: Argument- Its Concept and Its Fields, First Edition, Irbid- Jordan, The Modern World of Books.
52. Soula, A, (N.D), Argument: Its frameworks, principles, and techniques through “A Workbook on Argument- New Rhetoric” by Perelman and Titikan (in Arabic), in the book: The Most Important Pilgrims Theories in Western Traditions from Aristotle to Today, D.T, Supervised by Hammadi Samoud, Tunis, University of Letters, Arts and Humanities, Official Press of the Republic of Tunisia.

53. Zaki, A, (2012), The message of bragging between Malaga and Sala by the Lisan AL-Deen bin AL-Khatib (in Arabic), Afkar Magazine, Ministry of Culture, Jordan, (277), 16-32.
54. Zikri, K, (2005), Argument and the Right to Subjectivity (in Arabic), Translated by (Jaafar Aqil), Signs Magazine, Rabat, Mohammed ALkhamis University, (23), 139-142.

Argumentation In the Message Of: The Boasts “Mufakharat” Between Malaga and Sala of Lisan El Din Bin El Khatib

Omar AL-Kafaween

Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts, Philadelphia University-Jordan

Dromar.karak@yahoo.com

Abstract

The study dealt with the argumentation strategy in the message of "The Boasts of Malaga and Sala" by Lisan Al-Deen Bin Al-Khatib. The researcher first introduced the message of “Mufakharat” by Lisan El Din bin El Khatib and the motives for writing it. Then, he spotted some representations of argumentation like news and facts to prove and support his preferences for Malgaq to Sala. This was followed by using some rhetoric and linguistic tools to represent, underline and consolidate his arguments as an endeavor to communicate and share his goal of persuading and influencing the readers. The researcher also used the investigative approach in making use of the tools of description and analysis. The study concluded that Ibn Al-Khateeb *used the argumentation strategy and its manifestations and means in order to influence the recipients and convince them of the validity and authenticity of his writing.*

Keywords: Argument, Ibn AL-Khatib, The Boasts of Malaga and Sala.